

صورة صدام

صورة صدام

صافى ناز كاظم الطيعة الأولى ، ٢٠٠٧ حقرق الطيع محفرظة



دار العين للنشر ٩٧ كورنيش النيل ، روسَ الفرج ، القاهرة

تايفون: ۲۲۰۸۰۳۹۰ ، قاكس: ۵۵۰۸۰۳۹ www.elainpublishing.com

الهيئة الاستشارية للنار:

أ.د. أحمد شرقي أ.د. أحمد مستجير

أ.د. جلال أمين

شوقى جلال

أ.د. مصطفى ايراهيم فهمى

الفلاف: أحمد اللياك

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٠٥٥ / ٢٠٠٧

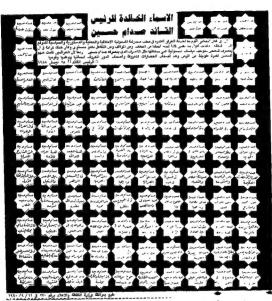
الدرقيم الديلي: ISBN: 978-977-6231-01-6

المدير العام: د. قاطمة اليودي

صورة صدام

صافىناز كاظم

دار العين للنشر



هذه هي أسماء صدام حسين التي أراد أن يحاكي بها الأسماء "الحسنى"! وقد طبعتها وزارة الثقافة والإعلام العراقية في عهده برقم ١٩١١ بتاريخ ١٩١١ /١٩٩٠

المحتويسات

4	احتلال صدام للعراق لم يكن سرأ !
10	شهادة لم أكتمها حتى لا يأتم قلبي .
٤V	(إِنْلَاصَتْ) كما يقول أهل العراق !
٣٥	رد غيبة الأستاذ ميشيل عفلق
٧٥	يا سلام سلم الحيطة بتتكلم (يا له من منطق)
11	ولكن عذارى العراق لا بواكي لهن !
70	العراق يدخل مرحلته الحديثة من الملاحم والفتن.
٧١	صورة صدام .
٧٥	من سفاح إلى سفاح .
٧٩	ملاذ العراقي : قاتل عند كل زاوية !
٨٣	رب مستمع والقلب في صمم !
۸۷	أمريكا تخرج أضغانها .
41	يتعاطفون مع السفاح ليشتهروا بالرحمة .
47	حاكموا صدام بقانون صدام!
1 - 1	منصور رحباني وفن الخصومة مع الطغاة والغزاة.
1 • Y	من هم " الأجانب " ومن هم " أهل الدار " ؟
111	ماذا قال نجيب سرور في ملك الشحاتين ؟
	يا أها، مده، ساعده ثي

مغول يكرمون جنكيز خان ؟ ولم لا ؟	111
هلامة محسن عبد الحميد وجناكزة العصر .	170
دم بالعراق الآن غير مقطوع من منبعه الأول .	149
اشا لله يا أستاذة عائشة : صدام هو موسوليني وليس أبدأ عمر	144
مختار !	
رائم واغتيال وقتل وتفخيخ بالقلم والكلمات .	144
مُل في حديث رغد صدام حسين في ذكرى سقوط والدها .	1 £ 1
فنران تلعق من دمائنا حساءها .	110
عذرة ولكن : ماذا بوسعي أن أقول ؟	101
هديد الوحوش غير المرئية .	100
ش لونك يا مظفر النواب ؟	109
حكم بإعدام صدام حسين : ياااه هَسنّة طخّت ؟	175
صيروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تقلحون .	170
لهم إني بريئة من بيان نقابة الصحفيين المصريين .	179
ل تكون أم كلثوم مسئولة عن مرض حب الطغاة ؟	۱۷۳
لي حسن المجيد الملقب بعلي الكيماوي يتفوق على جانكيز.	۱۷۷

احتلال صدام للعراق .. لم يكن سرا !

قال الشهيد سيد قطب في يوم من أيام تاريخنا: " ذهب الالجليز الحمر ، وجاء الالجليز السمر ". مثل هذا المعنى ردده السشاعر نجيب سرور في مسرحيته " آه يا ليل يا قمر " صائحاً: " اللي ياكل حقنا بيقسى انجليزي حتى لو كان دمه مصري " ، وأضاف إلى هذه الحكمسة مقولسة أخرى في مسرحيته " ملك الشحاتين ": " لا أبو مطوة ينقع ولا أبو دراع".

مرت هذه الكلمات على خاطري ، مع الكثير غيرها ، وأنا أتابع ما يمكن تسميته الآن "المحنة العراقية" . ويمكن بتعديل طفيف ، لا أخرج به عن المعنى ، أن أحسم : " اللي يشرب دمنا يبقى أمريكاتي حتسى لسو كان له وجه عربي " . وتكبر في الشاشة صورة العدو المحتسل بسلاع العراق " صدام حسين " . نعم رحل الأميركي المحتسل صاحب الوجسة العربي غير مأسوف عليه ، وجاء مكانه المحتل الأميركي الأمريكي ، وما زلنا كالمستجير من الرمضاء بالنار . ولكن من المؤكد أن مقاومة عدو محتل بلون الأرضية،

إذ لا يمكن الآن أن ينظر أحد إلى مقاومة الشعب العراقي للمحتل الأجنبي على أنها "مسألة داخلية" و " شأن وطني " . لا يمكن الآن أن يلت بس الأمر كما كان الحال عند البعض الذين كانوا برون في حكم البعث الصدامي على مدار ٢٤ سنة " حكماً وطنياً " . والحقيقة أن هذا الالمتباس كان مقتعلاً . فمنذ يوليو ١٩٧٩ ، حين تنازل أحمد حسن البكر لنائب صدام حسين ليحل محله في الرئاسة ، دب الخوف في قلب العراق . وبمقتل القيادة الجماعية للحزب في أغسطس ١٩٧٩ وانفراد صدام بالسلطة ، أدرك الجميع أنهم قد انتقلوا من نظام حكم استبدادي شسمولي له بعض وعوده الإيجابية ، إلى اجتياح عدواني يحتل العراق ، وأن أخذ المدو المحتل لون الأرض ، بملامحه العراقية ولكنته العربية ، حين تربع صدام حسين على جسد العراق بمسئوليات المعتمد الأمريكية .

كل العراق كان يعرف ، منذ اللحظة الأولى لتولي صدام حسين مقاليد حكم العراق ، أنه قد وقع في أيد أجنبية . كل العراق كان يعرف ، وعلى رأسه حزب البعث نفسه من أعلى قياداته إلى أدنى كوادره ، حسين أصبح الشعب العراقي مجبراً على الاختيار القسري بسين الانتماء إلسى الحزب أو " الاعدااااام م م م " . كنت وقتها في العسراق منسذ سسبتمبر 19٧٥ أعمل مدرسة لمادة المسرحية في كلية آداب المستنصرية ، قسم اللغة الإنجليزية ، أدرس للقصول الصباحية والمسائية ، من الصف الثاني الصف الرابع النهائي ، وكان مسن بينها صسف مسائي خاص

بالمسكريين الحزبيين ، في قائمة طلابه " عدنان خير الله طلقاح " الذي لم أره قط ، كنت أقرأ الأسماء لأثبت الحاضر والغائب وأقدول: " الطالب عدنان خير الله طلقاح " لا يحضر البتة ، فتسرى همهمة من الضحك بين الجالسين لأتى لم أكن أعلم أنه ابن خال صدام وشقيق زوجته . حين بدأتا العام الدراسي ٧٩ - ١٩٨٠ ، في ظل صدام رأيست العجب . تسأتيني الطالبة النجيبة ترتجف مثل ورقة في مهب عاصفة . " سبت ، اتحاد الطلبة استدعائي ، لابد من الاستضمام للحسرب أو الاعسدام ... سبت ، المشكلة ليست إعدامي وحدى " .. ست ، يعدمون الأسرة بأكملها... الانضمام للحزب حرام في عقيدتي ... ماذا أفعل ؟ " . كانت تطلب مني فتوى ، أجبتها: " ألست مجبرة وقلبك مطمئن بالإيمان ؟ " . كان وجــه سهيلة يشحب كل يوم حتى صارت شبحاً ، تقابلني وتضع في يدى ورقــة في تستر ، أقرأها : " واتقوا فتنة لا تصبين الذين ظلموا منكم خاصة " . ثم تختفي سهيلة . طلبوا منها تقارير تف صيلية عن الأهل والأقارب والجيران و... لا تحتمل ، وتمر بجواري فتاة مسرعة هامسة : "سهيلة نالت شرف الشهادة ". كل صباح أقرأ الأسماء لأثبت الحاضر والغالب. كل بوم غائب جديد بضاف إلى قائمة الغانبين التي تزداد طولاً بوماً بعد يوم : باسم ، عقيل ، على ، طالب ، نسيم ، محمد ، محمــود ، أحمــد ، هناء ، رعد ، جابر ، جميلة ... إلى ما لا نهاية له في أسماء المسلمين . وتزداد الهفهفات المسرعة بالهمس: "نال شرف الشهادة .. نالت شرف الشهادة " . يقابلني الطالب القلسطيني عند بوابسة الجامعسة ، كأنسه لا

يخاطبني ، يبتسم في مداراة : "الاعدامات شئ ييخوق .." ، مثل وحش السلعوة المسعور ، المنقض من كل اتجاه ، بلا منطق ، ومن دون توقع . أصبح الخوف وباء يتحول الطبيون تحت وطأته إلى قتلة بمارسون الذيح هرباً من أن يُذبحوا ، ولكن لا مهرب حتى لهؤلاء . يأتيني "طالب" - من صف المسكريين الحزبيين - مثقلاً بالذنب ، عقواً مستقلاً بالجرائم ، من صف المسكريين الحزبيين - مثقلاً بالذنب ، عقواً مستقلاً بالحرائم ، ينظر إلى في اتكسار بعد محاضرة عن مسرحية شكسبير "ماكبث" يسصف فيها أحد أبطالها أحوال بالاه تحت حكم السفاح قائلاً :

لم يعد ممكناً أن نسميك أمكا ، يل قبرنا ، حيث لم يعد هناك أحد نراه يبتسم ، سوى الذي لا يدري شيئاً ، حيث صارت التنهدات ، والتأوهات ، والحشرجات أموراً غير ملحوظة ، لكثرتها ، حيث أصبح الحزن العاصف أمراً عادياً لم يعد أحد يسأل من الذي مات ،

> فحياة الرجال الصالحين تنتهي قبل أن تذبل الورود في قبعاتهم، ويموتون قبل أن يصيبهم مرض ".

" وا أسفاه عليك أيها البلد المنكود ، لم يعد بإمكاتك التعرف على نفسك ، خافتاً يقول "الطالب "مازهاً: "بأي وقت مرّ شكسبير بالعراق ست ؟ "، ثم يأتيني بعد غياب طويل : "سامحيني سست ، والله السشغل كثير .. هادول الملاعين جواسبس المجوس ما يريدون يتركون لي فرصة المدرس ، كل يوم وجبات إعدام لمئات وما يخلصون .. والله تعبنا سست ، حتى الحادوني صار يتذمر .. "، أنظر في هلع ، وينظسر فسي انكسسار ووجع، يريد أن يوصل إلي الأخبار بأسلوب الشكوى ، وأفهم بالترجمة المقورية أن معنى كلامه هو :" يا سيدتي نحن قتلة نسنيح وتقتسل أهلنسا وأبناء الوطن في مجازر جماعية .. "، ثم يكمل في سخرية . " صسرت مثل ماكبث ، ما أنام .. سليب نومور .. "، بعدها يلتفت : " ادعسي لسي ست " ، فأقول : " اللهم ارزقه شرف الشهادة " ، فيهز رأسه في يسأس : " وينها " ؟

كان الشعب العراقي يعرف أن الاعدامات الجماعية هذه صارت شيئاً اعتيادياً ، وروتيناً يومياً حتى أن الأسرة التي يتم اعتقال شاب مسن أينائها تندهش لو عاد سليماً لأنها تحتسبه عند الله تعالى لحظة أن يذهب مع رجال الأمن . وكنت أسير في بغداد أكاد أشم الدم وأحس مذاقه حقيقة في حلقي وأنا أبلع ريقي . وعندما كلت الأجهزة المكلفة بالإعدام والدفن، وجدوا طريقة أوفر لهم في الجهد وهي دس نوع من سم الفلسران في مشروب مصنوع من اللبن الزيادي (شراب عراقي يتتاولونه دائماً خاصة في الصيف) يرغم من يتم اعتقاله ، بتهمة الإسلام أو التعاطف مع الثورة

الإسلامية – التي إندلعت في إيران فيراير (شباط) ١٩٧٩ – على شريه ثم يطلق سراحة ويعود إلى داره ليموت وتقع مسئولية دفنه على أهله .

بعد انتهاء العام الدراسي ٧٩ - ١٩٨٠ ، حزمت أمتعتي وقلت لعميد الكلية أنني ذاهبة لقضاء إجازتي الصيفية بالقساهرة . قسال لسي : "يعتقلوك في مصر " . قلت بسرعة : " عندكم مثل عراقي يقسول اللسي يشوف الموت يفرح بالسخونة " . أدار وجهه وقال : " في أمسان الله " . عدت إلى القاهرة في ٢٩ / ٦ / ١٩٨٠ وأنا مطلوبة على قائمة المدعي عدت إلى القاهرة في ٢٩ / ٦ / ١٩٨٠ وأنا مطلوبة على قائمة المدعي الاشتراكي بسبب معارضتي لاتفاقيات كامب بيفيد ، ومفصولة من عملسي في دار " الهلال " بقرار من أمينة المسعيد في ١١ / ١١ / ١٩٧٩ ، ومع ذلك قلت لمن استقبلني في المطار : " أحن شوقاً لمعتقل القناطر للنساء " الذي استقبلني فاتحاً ذراعيه .

هذا كلام لم أنتظر حتى أقوله اليوم فقط ، فلقد كتبت تفاصيله شهادة لوجه الله فسي كراسه بتساريخ ١ / ٣ / ١٩٨١م ، الموافق ٢٤ ربيع الثاني ١٠٤١هم ، ولم أجد ناشراً يطبعها لي سوى دار نهشر أوبن برس Open press في لندن ، وهي أيضاً التي تفضلت بتوزيعها لتشفي صدور قوم مؤمنين وتذهب غيظ قلوبهم ، تحت عنوان " يوميات بغداد " . وهكذا ، لم يكن احتلال صدام حسين للعراق سراً على أحد ، وليست هناك دهشة أن يقوم بتسليم بلاد ما بين التهرين لأولياء نعمته وأعوان جرائمه : الأمريكان لتكون هذه الخطوة منه : " أم الجرائم " .

شهادة لم أكتمها ، حتى لا يأثم قلبي

في شهر إبريل ۱۹۸۰ وصلت إلى قراري الحاسم بترك عراق البعث الصدامي ، تضامناً مع الشعب العراقي ، حيث كنت قد وصلت إلى بغداد في سبتمبر ۱۹۷۵ لأعمل مدرسة لمسادة المسسرحية بكليسة آداب الجامعة المستصرية ، قسم اللغة الإنجليزية ، وقد غادرت العراق نهائياً في ۲۹ / ۲ / ۱۹۸۰ لأصل القاهرة وأنا على قائمة المدعي الاشستراكي المطلوبين لملاحتقال بسبب معارضتي لاتفاقيات كامب ديفيد . كسان قسرار الرحيل يحاصرني منذ انفراد صدام حسين بالسلطة في يوليو ۱۹۷۹ وبعد إحدامه كل رفاقه في القيادة الجماعية . كانت التراكمات كثيرة مكثفة العمرة كالمطر النجس ، لكن الحدث المباشر كان إحدام الإسام السفيهيد العلامة محمد باقر الصدر ، وشقيقته الأديبة المجاهدة الآنسة آمنة بنت المحامر آخذاً أشكالاً عديدة من الروايسات ، فمسن قائسل أن الإسام وشقيقته وأمه وأولاده قد تمت إبادتهم جميعاً رمياً بالرصاص ، إلى قائل بأن بيتهم في النجف الأشرف قد حقر حوله خندق غائر يكفسل الحصام المصام

التام لمنزل الإمام حيث تم نقلهم ليلاً إلى بغداد ومن ثم إلى حيث نفذ الاعدام . ولكن الرواية التي تأكدت هي أن الإمام محمد بساقر السصدر ، مؤلف " البنك اللاريوي " و" اقتصادنا " و" فلسفتنا " والعديد الكثير من عيون الفقه والعلم ، قد تم استدعاؤه لمقابلة صدام حسين الذي ساومه بين القتل أو إدانة الثورة الإسلامية الشعبية ، التي قادها الإمام الخمينسي على أرض إيران فيراير ١٩٧٩ ، ولم يتردد محمد باقر الصدر في اختيار الموت ، الذي كان قد توضأ استعداداً له قبل تركه بيته مسصاحباً رجسال الأمن . وسائله صدام : أي أسلوب من القتل تريد ؟ فقال الإمام : أن أذبح كما ذيح الحسين ، ولكن صدام أمر بأن يموت رمياً بالرصاص ، فخلع الإمام الجليل عمامته السوداء مجابها رصاص الجلاد المحترف ، لكن يد الجلاد اهترت من الرهبة ، فتم تكليف جلاد ثان فلم يستطع ، مما اضطر صدام إلى أن ينهرهما - أو لعله قتلهما - ويقوم هـ بنفسه باطلاق الرصاص وقتل الإمام الشهيد . بعد يومين استدعيت الآنسة آمنة الصدر بنت الهدى ، شقيقة الإمام وتلميذته ، بحجة أن شقيقها يريدها ، وتسم إعدامها بعد إجراءات تنكيل وحشية جعلتهم لا يسملمون جثتها لأهلها رضى الله عنها . وتم التكتم الشديد على هذه الأخبار حتى اعترفت بها المنطة بعد أيام على شكل خبر نبشرته مجلبة البوطن العربس عدد ١٩٨٠/٤/١٨ - إن لم تخنّى الذاكرة - يروى باختصار إعدام الإمام محمد باقر الصدر بعد ثبوت اشتراكه في مؤامرة ضد العراق . لكن السلطة الصدامية ظلت متهيبة عاجزة عن مواجهة الشعب العراقي بنشر

الخير في صحفها المحلية ، وإن رددت في صفوفها اسم الإمام الشهيد مسبوقاً بد " العميل المشبوه " . وكان هذا الجرم الفادح هـ و مقدمـ فلإجراءات التي بدأ بها صدام حريه ضد الشعب العراقي بالقتل الجماعي تلعلماء والققهاء والشباب والشابات الذين يساور النظام الصدامي المشك في ولائهم ، مع الترويع بالطرد والتشريد والتشتيت .

...

عندما وصلت بغداد في سبتمبر ١٩٧٥ ، لأتسلم عملي بالجامعة، كانت ما زالت في مهرجانات تمجيد وتفخيم " النصر " الدني أحرزه العراق بتوقيع اتفاقية الصلح التي تمت في الجزائر بسين العراق وإيران الشاه . وكان الانطباع العام الذي شعرت به أن البلد ينعم بالهدوء والأمن والثراء تحت حكم مستقر منذ ١٩٦٨ . ورغم القيضة الحديدية التي كنت أحس وطأتها على وجوه الناس ، البعليين وغير البعليين كافة، إلا أن الأشياء كانت في عمومها تحمل قسمات الرغبات المخلصة في إبدخال الطمأنينة على قلب الشعب العراقي ومسح ذكرياته السوداء عن الدابح المقديمة والويلات التي صاحبت الصراع بين حكم عبد الكريم قاسم، وسيطرة الحزب الشيوعي من خلاله ، وبين حزب البعث والمجازر التي وقعت بسبب ذلك الصراع وكبدت الفريقين خسائر دامية في الأرواح وحسرات وأحقاداً غائرة في المقاوب .

كان الوعد الذي يحمله الحكم البعثي تحت رئاسة أحمد حسن البكر هو أن يحقق للشعب العراقي ، إلى جوار الطمأنينة والرغد والهناء

المعشم ، قيادة " الأمة العربية " لاستعادة فاسطين وتحقيق وحدة الوطن العربى . وكان الدور الجديد الذي أخذه الدموى القديم، أحمد حسن البكر، هو دور " الأب " القائد الحنون فسيح الصدر ، كبير القلب ، المتجاوز والمتفهم لأخطاء البشر واختلافاتهم ، وكان صدام حسين نائب القوى - في الثامنة والثلاثين من عمره - بأخذ دور ابنه المطبع ، المتشدد في الحق ، المفتش عن الأخطاء التي تعوق الإنتاج المرجو لعراق قائد ، الذي قد يتهاون مع خطأ غير الحزبي لكنه لا يتهاون أيداً مع بعثي يخطئ، لأن البعثي هو الكادر النموذجي الذي على عاتقه يقع بناء " الدولة النموذج " - (وكان بعض المشاغبين بمزحون ويقولون " الدولية الفالوذج ") - كنت ألاحظ تشابها لا يغيب عن العين بين نغمه وطقس الحياة في مصر تحت الحكم الناصري في السنينيات ، قيل هزيمية ٥/ ١٩٦٧/٦/٥ ، وبين نغمة وطقس الحياة في العراق في سنواتها تلك : ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، باستثناء تميز به الحكم البعثي وقتها أن الغناء والتمجيد كان للحزب وباسم الحزب ، بينما كـان الغناء والتمجيد في مصر لعبد الناصر ولاسم عبد الناصر ، لكن التــشابه فيمــا عدا ذلك كاد أن يكون متطابقاً خاصة في مرض الفجوة الواقعة بين القول والفعل ، التي لم تفلح الشقشقات والطقطقات والرطانة السياسية المطلسة علينا من الإذاعة والتليفزيون والصحافة أن تمحوها أو تخفيها حتى عن الأبله والمعتوه ، ومع ذلك كان هذاك شكل من الاسترخاء الذهني استحب الشعب أن يستسلم له بإغماض العين عن الكثير راضياً بحصيلته من

الهدوء النسبي والطمأتينة - بعض الشئ ، بديلاً عن لجج المدماء التسي سبح فيها طويلاً ولا يتمنى العودة إليها . وجاءت زيارة السادات للقـدس في ١٩ / ١١ / ١٩٧٧ ، فرصة مواتية لنظام الحكم العراقي يشد إليها ويمتص بها ما قد يكون في صدر الشعب العراقي مسن غسضب ورغبسة متطلعة للشجب والإدانة والاحتجاج. وفعلاً نجحت زيارة السادات للقدس وصلحه مع الكيان الصهيوني في أن تعطى الفرصة لكي يسضع النظام البعثى العراقي على صدره أوسمة الشجاعة والعفة والكرامية والعشق الأبدى لفلسطين . لكن شاء الله ألا يستمر ذلك الخداع طــويلاً ، فمــا أن جاء عام ١٩٧٨ حتى تصاعد الانفجار الفوار المستمر لغيضب البشعب الإيراني الذي توج بالنصر عندما خرج الشاه وسقطت حكومة بختيار الطمانية والمعادية للعرب ، والمتوددة للكيان الصهيوني ، وعاد الإمسام الخميني في ١١ فبراير ١٩٧٩ من منفاه التراتزيت في باريس لبلاده الذي اضطر إليه عندما طلبت منه حكومة البعث ، بضغط من الشاه ، أن يكف عن العمل السياسي أو يترك العراق ، الذي عاش فيه ١٦ سنة ، فتركه في شهر أكتوبر ١٩٧٨ ، والخجل يتصبب عرفاً خالباً على جبين الشعب العراقي ، الذي أفهموه ، عن طريق الترديد المستمر للسشعارات الهواء، أن عراق البعث قلعة الثوار ومأوى مناضلي العالم وحامية حمى الثورات الشعبية على مدار الكرة الأرضية . وبينما كان العالم أجمع يرقب اشتعال الإجماع الشعبي في إيران ضد الشاه ونظامه ورموزه على مدار عام ١٩٧٨ ، كان الشعب العراقي يرقب أشياء مريبة تحدث في بالاده

بعضها مستور وبعضها يطل من شاشة التليقزيون : تهوين لما يحدث في الشارع الإيراني ، وحصار أصم لأخباره المتصاعدة في أسلاك ويرقيسات وكالات الأنباء التي تجوب العالم ، مضافًا إلى ذلك الدعوة النسي وجهبت إلى فرقة ضخمة من قناني الإعلام الشاهنشاهي لإحياء حفالت تموز/ يوليو ١٩٧٨ ، ذكرى قيام ثورة الشعب العراقي ١٩٥٨ ! وشاهد الشعب العراقى الاحتفال الثوري لذكرى قيام الثورة مسن قبسل نظسام " الدولسة النموذج "، " جوجوش " المغنية والراقصة الشاهنة شاهية تغنى ثملة منطلقة ، عبر شاشات التلفزيون في عقر دار الشعب العراقي المحافظ ، تؤدى من الحركات الماجنة ما شاءت ، فاقدة تماماً لكل ما يمكن أن يعقلها من رباط أو ضابط أيا كانت نزعته ، وتوالي بعدها ، في سهرة استمرت إلى الصباح ، رفيقاتها ورفاقها السائرون على نهجها ، وكيار مسئولي الدولة " النموذج " فاغرين الأفواه والعيون انبهاراً بالفن الفارسى الذى تنصل تماما من إسلاميته ولحق ، بجدارة ، بركب الدعارة العالمية . ولم يكتف التايفزيون بوخز تلك الليلة الفاحشة في ضمير وعين وقلب الشعب العراقي فبادر ، إمعاناً في الفجاجة والنفاق السديني المثير المغنيان ، إلى بث مقابلة تليفزيونية مع "جوجوش " سألها فيها المنيع عن زيارتها للعبات المقدسة ، ولم تنس جوجوش أن تسبل عينيها فيي ورع الشيطان قاتلة بالعربية المكسرة إنها زارت " النجف الأشرف " و" كربلاء " وقرأت الفاتحة للإمام على والإمام الحسين وأبي الفضل العباس! كل ذلك كان يبث من التليفزيون العراقب والخطوات تتقدارب لإخراج الإمام الخميني من العراق ، فلم يكن لنظام حكم اختار "جوجوش" أن يصبر أو يتحمل تنفس آية الله -- (قال لي وقتها تلميذ لي أنه كان ضمن الوقد البعثي ، ويتبع أفراده المذهب الجعفرى ، الذي ذهب ليقتسع الامام الخميني ، في داره بالنجف الأشرف ، بترك نسشاطه السسياسي ، وكان رد الإمام بهدوء: اغربوا عنى ، لا أرانى الله وجوهكم ثانية أبداً! وأكد لى تلميذي أنه شعر ساعتها بالسعادة والفخر وهو يخرج مطرودا مع وقده من دار الإمام الخميني !) - وبعد خروج الإمام الخميني من العراق بفترة وجيزة نشرت الصحف خير مرور " الشاهبانو " فرح ديبا ببغداد ولقائها مع صدام حسين ، ولم تنس هي الأخرى زيسارة العنبسات المقدسة ! وقتها تساءلت : ما الذي جاء بفرح ديبا وكيف يقابلها صدام وهي عدوة الشعب الإيراني ، وسمعت " الحفاطة الجدلية " التــ، كاتـت تحفظ للجميع: " والله إن ما يحدث في إيران يخص إيران ونحن لا نتدخل في شئون إيران الداخلية ، وهناك اتفاقية صداقة تم توقيعها في الجزائس علم ١٩٧٥ مع الشاه لتهدئة الجبهة الشرقية استعداداً للتفرغ للجبهمة الغربية ، فلسطين ، القضية المركزية ، حيث أننا لا يجب أن ننجرف إلى الإغراءات أو الاستقرازات ثفتح جبهتين معا لأن هذا ليس في مصطحة أحد إلا إسرائيل ومن ورائها الإمبريالية العالمية ... إلخ ... إلخ!" وكنت قد حضرت مناقشة بين شاب مصرى من المدافعين عن صلح السادات مع الكيان الصهيوني ويين شاب عراقي بعثى كان يكيل السباب للسادات بدعوى استسلامه وخيانته ، فقال المصري : "يعني ما تتحمقش قوي كده ، طيب ما صدام عمل زي السادات بالضبط . صدام عقد صلحاً مع دولة الشاه المحتلة لأرض عراقية ، والسادات عقد صلحاً مع دولة محتلة لأرض عربية ... خالصين !" ، وهنا ثار العراقي البعثي ثورة كاد يفتك معها بالفتى المصري ، مردداً مقولة نهائية : "غيسر صحيح أن إيران تحتل أرضاً عراقية ، وغير صحيح أن صلح صدام مع الشاه كان به تنازلات عن جزر عربية ، وأن هذه الجزر ملكية شائعة ولا قيمة لها على الإطلاق!" وكرر الفتى البعثي أن البعث معاد للشاه ويتمنى سقوطه لأنه أحد رموز الرجعية في المنطقة ، ولأنه عدو خطر للنظام التقدمي العراقي ، لكن ما باليد حيلة ، وإنهم مضطرون إلى مهادنته حتى لا تستنفذ قواهم العسكرية الضغمة الموقرة لصد العدوان الإسسرائيلي وتحرير فلسطين !

لكن كل هذا الكلام لم يصمد طلاؤه الكانب بعد البوم الأول لوصول الإمام الخميني إلى أرض إيران وإعلان الجمهورية الإسالامية ، إذ أريد وجه النظام البعثي ، ويداية من شهر فبراير ١٩٧٩ كان على أمريكا أن تحرك خيوط عرائسها في تنسيق سريع .

...

كانت التلقلتية المنطقية للشعب العراقي هي التعبير عن الفرح النقامر التجاح الثورة الإسلامية وزوال الحكم الشاهنشاهي . وكان هناك نوع من الزهو لأن العراق ساهم في استضافة الإمام الخميني منذ عام

١٩٦٢ ، وإن كان هذا الزهو قد خالطه نوع من الأسف إذ لمم يقدر أن تكون عودة الخميني إلى إيران منطلقة من العراق . وكان هدذا الفدرح يلوح على جماهير الشعب العراقي بمن فيهم من البعثيين .

- (كانت القاعدة الجماهيرية للحيزب معظمها مين العميال والبسطاء وهم أغلبية تتبع المذهب الجعفرى ويتمركزون كطبقة فقيرة في حى شعبى كثيف السكان في بغداد اسمه حي الثورة ، وهو حي أنشئ مع ثورة عبد الكريم قاسم إلا أنه مهمل تماما ، فقيس الخدمات ، تتحول طرقاته إلى أنهار ممتزج فيها ماء المطر مع ماء المجاري ، لا يجرؤ أحد غير سكانه على تحمل المرور عيره ولو اضطراراً ، وهو بتناقض تناقضاً مؤلماً في تخلفه وفقره مع الوجه الآخر السياحي السياسي لبغداد التسي تعيش فيه صفوة الحزب مع الترف الجامع بين ترف العصر العياسي وترف العصر الأوروبي والأمريكي المعاصر . وكان يكفي في بغداد أن يشتم الإنسان بأنه من حي الثورة حتى يفهم أنه : فقير ومتخلف ومتوحش ولا يقرأ ولا يكتب ! ومع ذلك فكان الحي هـو حـي القاعـدة الجماهيرية لحزب البعث !) - ولكن فرح الشعب العراقي ، بمن فيهم من القاعدة الجماهيرية لحزب البعث ، لم بلق تشجيعاً من السلطة الحاكمة و لا من القيادة الحزبية ، وساد التجهم والبرود أمام كل مظهر فسرح شعبى بالثورة الإسلامية على أرض إيران، فالتقط الشعب على الفور الرسالة الضمنية في سلوك السلطة والحزب إزاء فرحهم ، وعرفوا أن بدهيـة الفرح من جانبهم هي بدهية لابد من أخذ التصريح بها قيل انتاهجها ،

وبمبكاتيكية الدفاع عن النفس التي تشريتها الشخسصية العراقيمة عبر المذابح ، تم إخفاء الفرح فوراً ، وصار فرحاً تحت الأرض يتزامل السكني مع المقت الذي تجدد للمجموعة الحاكمة وصفوة الحزب ، النبي بدأت بدورها تستلهم من غريزتها في حب البقاء أساليبها المتنوعة لشغل الشعب وقاعدتها الحزيية عن فرحه ومقته . وكان لابد من إيجاد مناسبة تخلق ضجيجاً كافياً يسد مع الكبت كل منافذ الضوع الإسلامي المنهمر من إيران ما بعد الشاه . وهكذا ، وبين ليلمة وضمحاها ، خرجمت القيمادة السياسية للشعب العراقي بقرار الصلح مع حافظ الأسد ، عدوهم اللدود الذي لم يكفوا عن رجمه صباح مساء طيلة السسنوات السسايقة ، حسر اعتقد البعض أن الصلح مع الكيان الصهيوني أكثر احتمالاً من الصلح مع سوريا حافظ الأسد . ومالأت الابتسامات شاشة التليفزيون مع الأحضان والتربيتات بين آت من سوريا وذاهب من العسراق ، وخرجت الحكمة العربية مستمدة من التراث عن صلح العرب ، وسماحة العرب ، وعقس العرب ، وخصام الأشقاء الذي لا يخرج الظفر من اللحم . ووسط دهـشة الشعب العراقي ، وقاعدة الحزب الشعبية، تم إعسلان اتضاد الخطوات لإجراء الوحدة بين النظامين ولحم الحزب المنشق إلى جسسد واحد ، وخرجت الأحاديث بأنه كان على مؤتمر بغداد العظيم الذي وحد العسرب، بمبادرة من العراق ، لاتخاذ موقف صامد إزاء خيانة السادات بأن بحل في أروقته النزاع السورى العراقي لأنه في النهاية اختلاف الود لا يفسد للعرب قضية ، خاصة إذا كانت القصية المركزية للعسرب ، ألا وهسي فاسطيبيين !

المهم أن الشعب العراقي وجد نفسه بالنهايسة فسي حفاسة زار ضخمة ذكر تنى بحفلات الزار التي كان عبد الناصر يتفنن في إقامتها كلما داهمه مأزق - (مثل حقل زار بيان ٣٠مارس ١٩٦٨ التي أقامها ليهرب من مظاهرات الطلبة المحتجة على هزيمسة ١٩٦٧ ، ومطالبة الشعب بالسلاح للدفاع عن أرضه) - فتحت الحدود بين سوريا والعراق لتسزاور الشعبين ، والتهت سوق دمشق بمستهلكين بشترون بنهم ، والتهت سوق بغداد بالتحضير لعروض أزياء لعرض الفن البغدادي على أهل دميشق ، ومع الضحيج بدأت التحليلات الرافضة لنظام الحكومة الاسلامية تخبرج متوارية ، ثم تسفر عن وجهها رويداً رويداً حتى ظهر الدق كاملاً علم، دماغ الشعب العراقي قائلاً في صراحة أن ثورة إيران ليست إسلامية ومع غباب القيادة السياسية المدنية المطلوبة لم يكن هذاك مفر من سـقوطها في أيدى رجال الدين . وكان هذا الإعلان بمثابة قرار تحريم وتجريم حب الدولة الإسلامية الناشئة ، وبدأ التلميح بكونها " أمريكية " وأن الإمام الخميني " عنصرى " والدليل على عنصريته أنه يصر على الحديث باللغة الفارسية رغم أنه بجيد العربية!

ثم ظهر لنا فجأة البعث العراقي - دونا عن كل الناس - يأخــذ على النظام الإيرائي الإعدامات الكثيرة ، مشيداً ينزعته البعثية الـسملمية المتسامحة العاطرة التي لا تقوى على رؤية الدماء ورؤية إنسان يعدم ،
تلك النزعة البيضاء التي كانت تختفي سريعاً في شماتة واضحة كلما تـم
إغتيال واحد من علماء الدين المجاهدين الصابرين . وعندما أذاعت لندن
أن الإمام الخميني حرّم الموسيقى ، إلتاث التليفزيون والراديو وسائر
الإعلام العراقي بالموسيقى ونزلت الشعارات التي كلات تقرر أن العربيي
يمكن أن يتهاون في عرضه ولا يتهاون في قسرار جسائر يحرمه مسن
الموسيقى . وأقيم " المؤتمر الدولي للموسيقى العربية " في بغداد بضجة
وبذخ لم تعهدهما من قبل ، ولم ينقطع برنامج المنوعات الخاص
بالأغنيات الأجنبية عن ولاله لم بوجووش" وبث أغنياتها مسع رقصاتها
الماجنة في وقت كان يحرم رفع صورة المخميني ، بل في وقت بدأت فيسه
نغمة بث العداء والكراهية للشعب الإيراني المسلم يدعوى أنه " فارسي
مجوسي " ، ولكن صورة جوجوش وأغنياتها ظلت شاهداً على ولاء
البعث العراقي وموضوعيته إزاء الموسيقى والغناء .

عندما حانت احتقالات تموز / يوليو ١٩٧٩ كانت أصابع أمريكا قد قررت خطوة حسم ضرورية لتحويل القيادة السياسية في العراق مسن قيادة جماعية ، يشترك فيها أحمد حسن البكر مع صدام حسسين مسع مجموعة من الوزراء وقيادات الحزب البارزين ، إلى قيادة فردية يمسسك بها رجل واحد يمكن أن يسكب فيه خمر الغرور بيسر ويطيش معه عقله وسلوكه وقراراته . وكانت قابليات صدام واستعداداته الفطرية ترشحه لأن يكون الفرد المختار الذي يتم على يديه:

- ١- التخلص من القيادة الجماعية التي قد تختلف في الرأي ولو على مستوى الولاء المذهبي .
 - ٧- إيجاد مبرر اللغاء موضوع الوحدة اللعبة بين سوريا والعراق.
- ٣- تطويق إرادة الشعب العراقي وإرهابه هــو والقاعــدة الــشعبية
 للحزب .
- ٤- غربلة صفوف الحزب وتصفيته من كل مسن يمكسن أن يكسون متعاطفاً مع الثورة الإسلامية مع إرهاب كل من راوده الحنسين إلى الإسلام وقكر في العودة إليه .
- ٥- إسقاط النظام الإسلامي في إيران قبل أن يترسخ وتنمو جدوره .
- ٣- إشعال حرب صيادة تسحب من إيران الثورة كل العاد العسكري الذي كانت أمريكا قد تركته يتدفق على إيران الشاه لتحويلها إلى ثكنة عسكرية أمريكية رابضة للدفاع عـن إسـرائيل ومـصالح أمريكا في الخليج . حرب تؤكد أن الثروة العسكرية التي ورثتها إيران الثورة عن الشاه قد أحرقت ويددت تماماً .

وعلى ذلك ، فوجئ الشعب العراقي ، كما فوجئت القاعدة الجماهيرية للحزب ، في احتفالات تموز ١٩٧٩ بأحمد حسن البكر يعان في خطاب التقليدي تنازله عن الرئاسة تناتبه صدام حسين بحجة أنه صار مريضاً وتكالبت عليه الكوارث ، وكان قد فقد زوجته ، ويعدها البغه فسى حسادث

سيارة قتلته هو وزوجته وأطفاله وشقيقة زوجته ، وكانت الشائعات تدور في بغداد عن أن البكر صار أكثر التصافاً بالدين وتطفاً بزيارة العتبات المقدسة في النجف وكريلاء وسامراء وذلك بسبب رؤى وأحلام مزعجة تحاصره أثناء النوم ، وأنه يتوجس الشر دائماً ممن حوله ، حتى أنه أصر في مرة على أن يصاحب اينه المسافر بالطائرة خوفاً عليه من تآمر لاغتباله .

لم يرحب العراقيون بقرار تنازل أحمد حسن البكر لصدام حسين إذ أحسوا أنهم بهذا سوف يدخلون مرحلة تكون القبضة الحديدية أشسد قسوة وإحكاماً ، خاصة وأنه لن يكون هناك نائب قوي ند لصدام حسسين كما كان صدام نائباً قوياً ندا للبكر ، مما جعل الكثيرين يقولون أن صدام كان هو الحاكم الفعلي من وراء الستار . لكن القيادة السياسية والواجهة الإعلامية طنطنت للقرار الديمقراطي — (كذا) — الذي تم اتخاذه، والذي إن على شئ فإنما يدل على الروح النقية الثورية التسي تجعسل القيسادة السياسية ، ومجلس قيادة الثورة ، والقيسادة المعطريسة للحرب ، قسوة مترابطة على درجة من السمو والرفعة لا يصلها إلا المتصوفة والزهاد !

وانتهت الاحتفالات وصدام حسين بأنافته الباريسسية وسسيجاره المحوبي فرحاً سعيداً باسماً يستعرض جماهير الشعب الذي بدأ السشعراء والملحنون يحفظونه لأول مرة في تقاليد حكم البعث ، أناشيد تدور حسول القرد ، الفارس ، السوير مان : صدام ، صدام ، صدام م م م م م .. وكان

الفناء قبل ذلك يدور للحزب ، وللمجردات مثل الأمة العربيسة والقوميسة والاشتراكية .. ولكن ها هو صدام والناس ترقص وتغني لسه ولعونسه الجميلة - (كذا !) - وهو يتبختر في حركاته بين مقلد لعبد الناصر ومقلد لنجوم السينما . وهكذا ملئ الكأس وأترع صدام بالغرور .

...

كان معروفاً قبل تولى صدام حسين رئاسة الجمهورية أن هذاك أكثر من شخصية قوية ذات نفوذ في الحزب والقصر الجمهوري ، منهم : غاتم عبد الجليل ، عدنان حسين ، محجوب، محمد عابش ، وآخرون لسم أعد أنكر أسماءهم رغم أتهم كانوا أسماء طناتة تدوى في الآذان صباح مساء ، ويعض من هذه الأسماء كاتت مقرية للبكر تنعم برضاه وتدليله ، وكاتت تشعر أنها مساوية في القامة مع صدام . ولا ندري نحن هل صدر منهم شيئ أخاف صدام وألقى التوجس في صدره منهم ، أم أنه - بامر من أمريكا - كان قد افترض احتمال معارضتهم له في أمــور مـستقبلية نوى القيام بها ، المهم أنه شرع في تنفيذ الخطة بالغاء القيادة الجماعية حتى ولو كان هناك احتمال بأنها ستوافقه أو تهادنه ، علسى أساس أن الاحتياط واجب كل لص وسفاح . ومع تباشير شيهر أغسطس / أب ١٩٧٩ ران الصمت الرهيب على الشعب العراقي وعلى قاعدة الحسرب الجماهيرية وهم يستمعون إلى تفاصيل تقرأ عليهم من التليفريسون ثمم تعرض عليهم سينمائيا عن خياتة مروعة تم اكتمشافها فسي صفوف المتصوفة والزهاد من كبار قيادة الحزب القطرية والقومية والحكومسة . ووقف صدام في الفيام السينمائي يبكي حزناً على انتهاك العذرية الحزبية، لكنه سرعان ما جفف دموعه بالمناديل الورقيــة وهــو يجمــع شتات عزيمته ليقول للشعب العراقي وللجماهير الحزيية مع ومصفة خاطفة في عينيه النازيتين : "الذي يخون قومه ليس له منا إلا السيف "! وفي ٨ / ٨ / ١٩٧٩ تساقطت ٢١ رأساً تضمنت كل الرؤوس اللاسعة في الحكم والحزب . وكان المفروض أن يكون من بين القتلى منيف الرزاز ، نائب الأمين العام للقيادة القومية للحزب ، وهو أردني ، لولا تدخل الملك حسين فاكتفى صدام بتحديد إقامته ثم سجنه مع إعدام كل مؤلفاته البعثية وتنظيراته الحزيبة ، وأنزل صدام بديلا عنها مؤلفاته الشخصية وكتبياته تمهيداً لاستئثاره يثقب مفكر الحزب وفيلسوفه ومنظره الوحيد! وكاتت هذه المجزرة كافية لارهاب المنتمين للحزب كافة والزامهم الأدب والطاعة الكاملة للمعلم الكبير صدام حسين الذي أثبت عملياً للجميع أن قلبه أشهد قسوة من الحجارة وأنه إذا كان قد هان عليسه قتسل أصدقائه ورفاقسه المقربين فإنه بهذا برقع شعار حكمة الجديد : " من بقف في طريقي ليس له سوى الإبادة !" وأطبق الشعب العراقي وأفراد الحزب وجماهيره القم ، لا أحد يقول ما في قليه وعقله حتى ولو في غرقة نومه همساً في أذن زوجته .

...

ويداية من هذا التاريخ ٨ / ٨ / ١٩٧٩ ، سيطر صدام على كل مفاتيح السلطة ، الحكم والحزب بقيادتيه القطرية التي تتحكم في الحزيبين العراقيين ، والقومية التي تتحكم في الحزبيين العرب من الأقطار الأخرى. وتحققت بهذا الأهداف الآتفة الذكر من رقم واحد إلى أربعة ، مما كمان مطلوباً لأمريكا أن يتم عبر صدام ، تمهيداً لتحقيق المطلبين رقم خمسسة وستة، وهو إسقاط الحكومة الإسلامية في إيران أو على الأقل حرق العتاد العسكري الذي ورثته عن الشاه ، مخافة أن يستخدم ضد إسرائيل ، التي كان الشاه قد تعهد بحمايتها ، خاصة بعد أن أسقطت إيران الثورة الإسلامية علم إسرائيل واحتفات برفع علم فلسطين في سماء طهران في تناغم حركي شجى يقوق كل موسيقى البشر عذوية وجمالاً .

لم يحزن الشعب العراقي على قتلى ٨ / ٨ / ١٩٧٩ لكنه توتر، كان لسان حاله هو أن الله قد جعل بأسهم بينهم وأن القاتل ليس بأقضل من المقتول والمفتول ليس بأقضل من القاتل ولكن التوتر كان ناشئاً مسن الإحساس بأن الدم قد عاد والمجازر قد بدأت من جديد .

وبدأت تنتشر في طرقات بغداد ظاهرة ثياب الحداد الأسود - غير العباءة السوداء الزي الشعبي للمرأة العراقية - وتزايدت متسصاعدة مع الشهور المتتالية بعد أغسطس ، سيتمبر أكتوبر ، نوفمبر ، ديسسمبر ١٩٧٩ ، ثم بداية من ينلير ١٩٨٠ مستمرة حتى وصلت المذابح ذروتها اللامعقولة ٨ إبريل ١٩٨٠ حين تم إعدام الإمسام محمسد بساقر السصدر وشفيقته بنت الهدى آمنة الصدر .

كنت طيلة تلك الشهور أسمع عن الإعدامات الجماعية التي كان يساق لها الشباب المسلم: ٣٠٠ ، ٢٠٠ شاب يومياً حتم قيل ، كما سيق وذكرت ، أن الحاتوتي المكلف بدفن الجثث قد تذمر من كثرة العمل المطلوب منه ومن مساعديه إنجازه في الليلة الواحدة ! وكنت أسير في بغداد أكد أشتم الدم وأحس مذاقه حقيقة في حلقى وأنا أبلع ريقي ، و عندما كلت الأجهزة المكلفة بالإعدام والدفن وجدوا طريقة أوفر لهم في الجهد وهي دس نوع من سم الفنران في مشروب مصنوع من اللبن الذيادي برغم من يتم اعتقاله على شريه ثم يطلق سراحه ويعبود إلسي داره ليموت وتقع مسئولية دفنه على أهله . وكان شيئاً اعتبادياً وروتينياً يومياً ، حتى أن الأسرة التي يتم اعتقال شاب من أبنائها تندهش لو عاد سليماً لأنها تحتسبه عند الله تعالى لحظة ذهابه مع رجال الأمسن . هذه الحريب الغادرة التي استحلها صدام وعبيده ضد الشعب العراقي جاءت بنتبجة عكسية لما أراد تحقيقه من خضوع كامل لطغياته ، إذ أنها ، على غير ما توقع ، أذكت التأجج الثوري في صدور مجموعة من النسباب البعثى من حي الثورة الفقير ، والذي كان يقوم بحراسة مقر الحزب بالحي ، باعلان التمرد على صدام وقيادة مظاهرة تهتف بسقوطه وبحياة الثورة الإسلامية . وجن جنون صدام وهرعت قوات الردع في بغداد كافة وأخمدت المظاهرة بإطلاق الرصاص على الجميع ، ثم بدأت عملية صارمة في تمشيط صفوف الحزب ، وابتدأ النشاط الإعدامي بمتسد مسن إعدام الشباب المسلم المنتمى إلى حزب الدعوة - حقيقة أو إتهاماً - إلى

الشباب البعثي الذي دخل الحزب كاتما لإسلامه مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان .

ومع ذلك تنبه صدام - بمجهوده أو بتنبيه ممن يستعملوه - أن الإعدام والعين الحمراء يجب أن يتوازنا قليلاً مسع التدليل والتلطف ، وبدأت جولاته الشعبية في كل مناطق بقداد أولاً ثم من شمال العراق إلى حنوبه . وفي بغداد بدأ بزيارته لحي الثورة القابع في فقسره فسي طسي النسيان والإهمال الحكومي والحزبي وحُشد الناس لاستقباله في ترحيب شعبى ، ونقل لنا التليفزيون صدام وهو يقف ببذلته الباريسسية الأنيقسة وخطابته البطيئة الخنفاء يعترف لأهالى حى الثورة أنه قد تسم إهمسالهم نوقت طويل وأنهم ضربوا المثل في قوة الاحتمال والصبر على المكاره وسوء الخدمات ، وقد أن الأوان لكي يلقوا الاهتمام اللائق بهم كجماهير كادحة ، لمصالحها قام الحزب وقامت الثورة . ولكنه تدارك قائلاً : ومع ذلك فإن إهمال رصف طرقات حى الثورة ليس سببه كله تناسى مسصالح الجماهير الكادحة وخذلاتها ، لا سمح الله ، ولكن هناك السبب الأهم وهو أن حي الثورة يقوم على بحيرة نفطية ضخمة أرغمتهم على تأجيل رصف وتمهيد الطرقات لكن ، " ما يخالف " ، منذ الآن وبالرغم من بحيرة النفط تحت التربة ، فإن الحكومة سوف تبدأ في رصف وتبليط الطرقات ، لأنسه إذا كان أهالي حي الثورة - الذي أسماه فيما بعد حي صدام! مستعدين للصبر أعواماً فإن صدام لم يعد يحتمل الصبر لهم أكثر ! وتطرق في كلمته لجماهير حي الثورة عن النظام السوري الخالن العميل ، مستبها

حافظ الأسد بمعاوية الذي أراد الدنيا أما هو - صدام - فإنه كالإمام على الذي ثم يفكر إلا في مبادئه التي استشهد هو وابنه الحسين في سبيلها ومن أجلها ! وهنا أمسك الشعب العراقي أمعاءه خشية القي من فجاجــة الكذب ونتن النفاق ، لأنه كان يعرف أن سب معاويــة علــى مــلاً حــى الثورة، الذي يتبع سكاته المذهب الجعفري ، ليس محبة لعلى أو المسين، ولكن اخفاء نظالم أشد ظلماً وسفاهة من كل الظالمين الذين عرفهم تاريخ العراق . صارت مهرجانات الزيارات الصدامية لمناطق العراق . البرنامج الطويل الممل المقرر على مشاهدى التليفزيون ، بروته يومياً في زياراته المفاجئة للبيوت وللمدارس ، حيث يميل على الأطفال مبتسما متجسسا : " إيش دا يقول بابا ؟ إيش دا تقول ماما ؟ " - يعنى ماذا يقول بابا وماذا تقول ماما - ليتحسس من براءة الأطفال وتلقائيتهم من يعاديسه ومن ينتقده ! ومع هذه المهرجاتات استمرت وجبات الإعدام في تزايد متصاعد ومتكثف ترهق القلب والصدر والضمير وتحيط الناثم بكوابيس لا ينطبق معها جفن ، حتى جاء يوم أول إبريل ١٩٨٠ عندما تربص طالب بكلية العلوم بالجامعة المستنصرية عند مدخل الجامعة منتظرا مع تجمع طلابي لاستقبال الوزير طارق عزيز ومجموعة من زمرة صدام وعندما كان الوزير ينهيأ للنزول من سيارته ألقى الطالب قنبلة قاصداً قتسل السوزير، اتتقاماً للمجازر اليومية ، لكن الوزير لم يصب إلا بإصابة طفيفة وهلسع كبير جعله بجرى في طرقات الجامعة لا يلوى على شئ ، وقدل طالب وطالبة للأسف ، وتولى الحرس إطلاق الرصاص على الطالب فقتل بدوره على القور ، وقال الناس إن صدام لما علم بالخبر أصدر أوامره لفرقة

من عساكره بالتوجه إلى ببت الطالب بشارع فلسطين القريب من الجامعة وتم نسفه يمن فيه من أهله وضيوفه وحيواتاته ودولجنه . وكان هذا المحادث مبرراً لعهد قطعه صدام على نفسه في خطبة قالها في فناء الجامعة المستتصرية : " والله والله والله ، الأقتص لكل نقطلة دم مسن الدماء الزكية التي سالت على أرض المستنصرية !" ويدأت مرحلة جديدة من الجنون المسعور .

...

كانت ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي على الأبواب في ٧ إبريل ١٩٨٠ إذ تمر ٣٣ سنة على تأسيس ميشيل عقلق له ، عام ١٩٤٧ إبريل ١٩٨٠ إذ تمر ٣٣ سنة على تأسيس ميشيل عقلق له ، عام جديد للقومية العربية التي قال عنها أنها قومية أممية لأنها منبعثة مسن الإسلام ، وهي غير القومية النازية لأنها لا تحدد العربي يدماله وأصوله العرقية ولكنها تحدد العربي بأنه كل من سكن السوطن العربي وتكلسم العربية وتوحد مع قضايا الوطن العربي ومصالحه ، ونادى بلحترام حرية الفرد وإنسانيته .. إلخ . وكانت المفارقة مضحكة ومبكية معا حين رأينا كيف توافق ، مع ذكري تأسيس هذه الشعارات ، العصف كلية بها ، بسل ودهسها تماما تحت الاقدام ، وذلك خلال مهرجانات الاحتفالات السصاخبة بالذكرى !

كان الغرور قد بدأ يأكل جزءاً من دماغ صدام حسين وعقلمه ، وجاء الخوف من تصاعد الحركة الإسلامية ليأكل البقية البائيسة . ويدأ صدام يطل علينا من التليفزيون في أحوال مختلفة مختلطة تظهر - رغسم تمسكه برطاتة اللغة الحزبية - أن الرجل لم يعد يمثل حزياً أو فكراً - أياً ما كان – أو منهجاً ، لقد صار سفاحاً ملتاثباً بالحماء ويعثر ة اللحم البشري. كان واضحاً أن قتبلة أول إبريل ١٩٨٠ ، التي ألقاهما الطالب أمام الجامعة المستنصرية ، شارة احتجاج ورفض لمجازر القتل الجماعي للشباب العراقي ، وكان الأولى بصدام - لو كانت اديسه ذرة عقل أو مسئولية فكر حزبي - أن يلتقطها مؤشراً نقدياً يصلح به أحواله أو يتعلم منه درساً ولكن : " ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخسرة عذاب عظيم " . وفتن صدام كما فتن من قبل نمروذ وفرعسون وهامسان وعبد الناصر ، ومقابل ذلك الحادث الذي جاء كرد فعل غير مدروس لمجازره اليومية ، يحيث يعد هو مسئولاً مسئولية أولى عن الأضرار التي نتجت والدماء التي سالت ، هجم صدام أول ما هجم مطيحاً برأس العلامة الإمام محمد باقر الصدر: واحد من ندرة علماء المسلمين قبي عسصرنا الحديث ، وتذكرت على القور ٢٠ / ٨ / ١٩٦٦ في مصر والهجمية الغاشمة التي هجمها عبد الناصر وخسرنا فيها وخسر الطهم الإسلامي علامتنا الإمام النابغة الشهيد سيد قطب . هكذا في خلال أربعة عشر عاماً ينقض البوم والغربان لينتزعوا منا أروع ما أخرجته حدائقنا الحصارية من ثمار ويستبيحوا لأنفسهم ما استباحه النتر والمغول والفجار : ما هو أقحش من حرق الكتب والمكتبات ، ألا وهو حرق الأدمغة والذكاء السذي يخرج الكتب ويعمر الحضارات ويصنع النهضة . وكان قتل الإمام الصدر

يعنى أنه لم يعد هناك حياء ، ولم تعد هناك حدود، ولم يعد هناك معقول و لا معقول ، ولم بعد هناك ما تتوقعه وما لا تتوقعه: كل حرمات السشعب العراقي مستباحة ومهتوكة تحت سنابك الغازى صداما وخرجت فيسالق العبيد تنفذ للغازى صدام أغرب عملية تفتيش يمكن أن تتم في أي بلد في دنيا الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي ومشارف القرن الخامس عشر الإسلامي : لقد صدر الأمر من الغازي صدام بسأن علس السشعب العراقي أن يثبت أنه عراقي . وكيف يتم ذلك ؟ هل يكفي أن تبرز شهادة الميلاد التي تثبت أنك موثود بالعراق ؟ هل يكفي أن تبرز وثيفة حواز السفر العراقي ؟ هل يكفي أن تبرز سمات وجهك وثفية لسساتك وواقسع وجودك الفطى أبأ عن جد على ثرى الأرض العراقية التسى يرقسد فيهسا أمواتك ويولد عليها أولانك ؟ كلا ! إن صدام الغازى أكثر دقة في التمييز بين أبناء الشعب العراقي الواحد : أكثر نقة من هؤلاء السدين يحرقسون ويطردون جنساً غير جنسهم وبيناً غير دينهم . قال تلميذي سـاخراً : " نحن ننفض البلاد مثل الزولية "! - أي مثل السجادة - قصدام الذي فقد حياءه ، صار يصنع ما يشاء ، لقد صار مطاوياً من كل فرد من الـشعب العراقي أن يحلل دمه ليثبت أنه على مر الدهور والقرون لم يختلط دمسه بأى نقطة دم إيراتي . وحتى إذا جاز هذا المستحيل فإنه كذلك لا يكفي ، إذ لابد أن يثبت أن " الجنسية العراقية " - التي لم يكن لها وجود قبل إصدار قانون الجنسية العراقي عام ١٩٣٢ على ما أذكر - جاءت لتحمل محل ما كان يسمى " رعية عثماتية " وأيس "تبعية إيراتية" . أما ما هـو الفرق بين الذي كان " رعية عثمانية " والذي كان " تبعية إيرانية "، فسلا

-1

شيئ في حقيقته الموضوعية الخاصة بعراقية العراقي : كل ما في الأمسر أن الشعب العراقي في غياب قانون الجنسية الخاص به أخذت غالبيته سمة " الرعية العثمانية " مندرجة تحت دولة الخلافة العثمانية ، واختسار البعض الاندراج تحت " التبعية الإيرانية " مع حقيقتهم العربية العراقيسة التامة ، وكان بعضهم يجدها مهرباً من تجنيد أبنائه ، إلى أن جاء قانون الجنسية العراقي فدخل تحته الجميع " الرعية " و" التبعيــة " علـــ حــد سواء . ويعد كل تلك السنوات بأحداثها العديدة ومتغيراتها التي لا حصر نها ، والتي مات فيها أصلاً من فضل " التبعية " على " الرعيسة " ومسن اختار " الرعية " بدلاً من " التبعية " ، وبعد أن ولد أكثر من جيل لا يحمل ولا يعرف إلا الجنسية العراقية ، يجئ صدام وقد تفتق ذهنه بإعلان حرب لا هوادة فيها على الشعب العراقى ، يتم بها طرد كل فرد يثبت أنه عراقى الحنسبة من أصل " تبعية إيرانية " ، يخرجوه من داره بالقوة بالركال والضرب والإهانة هو وعائلته من الجدحتى الحفيد ، ويتم شحنهم فسي سيارات مكشوفة في ظلمة النيالي الباردة ثم يرمى بهم خارج الحدود في العراء الخلاء بلا غطاء أو طعام أو نقود. وتألفت دوريات في السشوارع توقف المارة تسألهم عن هوياتهم ، يعتقل من يثبت أنه من أصل تبعية ، تمهيداً لشجنه وطرده . وصرت لا أسمع من العراقيين سوى الهمهمات المرتبكة تتساعل في قلق: "رعية "أنت أم" تبعية "؟ وبينما كان يستم تهجير عشرات الألوف إلى الحدود الإيرانية بتهمة كونهم " تبعية إيرانية " ، كان الخوف أن تأتى الأهواء يوماً بتهجير الباقين من الشعب العراقي إلى تركيا لأن أجدادهم حملوا سمة " رعية عثمانية "! وهكذا وجد الشعب

العراقي نقصه تحت وايل من إجراءات إعدام جديدة لا تطاح فيها الرؤوس الموت ولكن يطاح فيها البيت والعمل والمال وحق المواطنة والكيان الإسمائي بلكمله: يطاح إلى خارج الحدود إلى مجهول لا يطمسه إلا الله ، وصدام أثناء هذا كله يطل علينا من التليفزيون يضحك ضحك دراكولا مصاص الدماء ، محيطاً نفسه في الصباح بمجاميع متواصلة من الأطفال يوزع عليهم اللعب والهدايا يلهو معهم ساعات طويلة في محاولة يائسمة لجلب لمسات إتمانية تقطي أليابه الزرقاء الذي يقطر منها الدم ، أو ربما ليواصل تجسسه على ذويهم يلعبة : " إيش دا تقول ماما وإيش دا يقول بابا "! أما في المساء فنراه في التليفزيون كذلك حيث تقام حفالات مسن الشعر الشعبي يتبارى فيها مجموعة من الأوغاد ، كأنهم انسلوا وجاءوا الشعر والشعب على حد سواء ، وصدام جالس بينهم سعيد يصحك - لا يزال - ضحكة دراكولا وهو يلوك سيجاره الكوبي كأنه يمصمص عظام جمجمة بشرية .

...

كاتت الحكايات تجوب بغداد تلسع القلب :

* هذا البيت لخذت منه الأم لأنه ظهر أنها عراقية مسن أصلى تبعية إيرانية ، أما أولادها فقد ظلوا مع الأب الذي ثبت أنه مسن أصسل رعية عثمانية ، ولم يشفع للأم المطرودة وليدها الذي لا يسزال يرضع منها . * هذا البيت - كانوا جيراني في حي جميلة - به ثلاث شقيقات ليس لهن أحد ، كيراهن تقارب التمسعين وصغراهن تقارب الثمانين ، سمعت صراخهن عندما داهمهن رجال الأمن في جوف الليل يصرخن : " وين نروح " والرجال ، عبيد صدام يلطمنهن : "اخرسسن كلاب أولاد كلاب . . جواسيس المجوس "!

* وهذه الدار ثبت أن الأب من أصل تبعية إيراتية قطرد هو وابقه الكبير أما أبناؤه ما بين ١٨ و ٢٨ سنة فقد تـم اعتقالهم بنهمـة كونهم من أصل إيراتي وأم يتم طردهم لأن الذهن الصدامي المريض تفتق عن وباء إضافي وهو : عدم طرد الشباب ما بين ١٨ و ٢٨سنة خشية أن يتطوعوا في الجيش الإسلامي لمقاومته ، ويناء عليه يطرد جـزء مـن العائلة ويسجن جزء آخر - يتم دس السم له أثناء الحبس - وتبقـى الأم وحدها بالعراق أو تترك الدار خالية تنعي من بناها تمهيداً الاحتلالها واغتصابها من قبل عبيد صدام وزمرته .

 خالبية المسنين يموتون خلال الطريق إلى الحدود وعديد من النساء أجهضن من العناء والحزن .

صرخات " وين نروح ... وين نروح " تتسرد على السمان الجميع ، فالغالبية لا تعرف أحداً بإيران المرحلين إليها ولا تعرف حرفاً من اللغة الفارسية .

 أحد الرجال من المسئولين عن عملية الطرد والترحيل تـراه
 زوجته وهو يلطم جاره ويشده للترحيل فتصرخ به أمام الجميسع : " الله يشل يدك "! وتتقجر مع الباكين واللاطمين!

بعض المسئولين عن عملياة الطرد والترحيل يطلبون استعمالهم العنف والقسوة لأنهم إذا لم يفعلوا ذلك سلوف يتهملون بالتواطؤ! - (بالتواطؤ مع الإنسانية ، ومع الشعب العراقي ؟) -

* واحد من حواة الكلام والرطانة الحزيبة ينفي القول بأن الطرد والترحيل يشمل جميع "التبعية الإيرانية" ويقول : هذا غير صحيح ، لقد تم استثناء المسيحي الذي من أصل تبعية إيرانيسة . وتسسأله : ولمساذا انصب الإجراء على المسلمين فقط ؟ فيقول : بسالطبع لأن المسسيحي مضمون عدم تأييده للثورة الإسلامية ولأنه لا يمكن أن يكون مشاركا في حزب الدعوة الإسلامي أو أي نشاط إسلامي آخر — (هذا الكسلام لسيس خرافة ، لقد سمعته بلحم أذني ، وقائله كان يحضر للماجستير في القومية العربية !) — وهذا يعني أن كل تلك العقويات ، من إحدام وسبحن وطرد وتشريد ، لم تكن توقع على أناس ارتكبوا أفعالاً تستحق العقوية ، ولكنها لحقع على منات الآلاف من الشعب العراقي المسلم — بالذات — لأن هناك احتمال بأن "بعضهم " قد يرتكب في المستقبل هذه الأفعال التي تستحق العقوية ؛

أى شريعة هذه التي يطبقها صدام حسين وهو الذي كان يحسب أن يفتكر بجده حامورابي صلحب أول شريعة قلتونية ألفها الإنسان مسن بنات أفكاره ؟

هذا التساؤل لم يطرحه واحد من الحواة الطبالين الزمارين قي الصحافة والتليفزيون وأبواق الحزب ، لم يطرحه أحد ، ولو من ياب حفظ اللياقة الجمالية لواجهة الحزب ووجه العقيدة العقائدية ! لم يتساعل أحسد كيف يطرد المسلمون هكذا من ديارهم والدعوة كاتت لا تسزال مفتوحسة - ومعلنة في الجرائد - لعودة يهود العراق الذين هريو ا بسار ادتهم السير الكيان الصهيوني ليشاركوا في نبح العرب! ويديلاً عن هذا التساؤل ارتفعت عقيرة الحواة في أجهزة الإعلام بسبب الخمينسي ونعتب بــــ " العنصرية " والطائقية والتخلف ، علاوة على التوضيح للشعب العراقسي أن الإمام الخميني " جاهل بالإسلام " أما الفقيه العسارف بالاسسلام فهيه الرفيق صدام حسين الذي جمع علماء الدين في البلاد لبطمهم أن الإسلام لا علاقة له بشئون الحكم وأن الحكم لا علاقة له بالإسلام ، والعمام المنكسة أمامه تجلس صامتة مستثلة بين شيخ فان وكهيل وشياب ولا يفتح واحد فيهم فمه ليقرأ للسلطان الجائر من آيسات الله الكريمسة مسن سورة البقرة : "ثم أتتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم مـن ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان..".

...

بإجراءات الطرد هذه أصبح الموقف محرجاً لكثير من المصريين والعرب الملاجئين سياسياً إلى العراق ، أو الذين أقاموا للعسل بسه منسذ

سنوات قبل مرحلة الحكم الصدامي ، لقد فتح الشعب العراقي أبوابه لهم حين كان مستقراً آمنا هو أولاً في دياره يملك أريحية استقبال واستيعاب إله افدين عليه من خارج العراق ليشاركوه العمل والقوت ، لكن كيف يستم ذلك وصاحب الدار واقع بين ذبح ومبجن وطرد وقمع ، والذي أضاف إلى صعوبة الموقف أن صدام حسين ظل بردد : " المحصريون ضيوفي " . قلت: لا والله لا أكون ضيفتك أبداً ، وكان لابد أن أحرَم أمتعسى وأعسود للقاهرة ، تضامناً مع الشعب العراقي وآلامه واحتجاجاً على السلطة الصدامية الغاشمة التي اختارت طريق المضلالة والظلمات وواصلت التوغل فيها: أوامر بمنع الطالبات من الزي الإسلامي ، مخبر في كمل مسجد لمعرفة الحريصين علي أداء الفروض ومراقبتهم ، الإرغام القسرى للانتماء للحزب ، حتى يصل هذا الإرغام إلى خيار من اثنين : الانتماء للحزب أو الإعدام ، وفي إطار هذه الحرب الضروس ضد الشعب العراقي يشاء الله أن يقتن الظالم أكثر فيعان صدام أمام الملأ العالمي في ٢٨ سبتمير ١٩٨٠ عن " قلاسيته " الآثمة لينقض على إيران بحجـة تحرير الأرض العربية والدفاع عن عرب إقليم " عربستان " السذى نبح وطرد وشرد بقية عائلاتهم المقيمة بالعراق بحجة أتهم من أصل إيراني . ويستمر في تنفيذ الخطوة السلاسة التي أرائتها أمريكا وإسرائيل لمسحب العتاد العسكرى من إيران ، الذي كان قد تم تجهيز الحكم الشاهنشاهي به لضرب العرب وتمكين الكيان الصهيوني فوق رقابهم . ويتحول ، بعد أن أتهك الشعب العراقي ، الى بقية العرب المقيمين بالعراق قابلين ضيافته رغم كل شئ ، ويطالبهم بثمن استضافته لهم وحمايتهم من بغض الشعب العراقي فيجبرهم على الاشتراك في الحرب وإعلان تأييدهم لقادسسيته ، وإلا فلهم الطرد بعد التعذيب والإثلال ، وتأتيني ، بعد وصولي للقاهرة ، رسالة من طالب مصري استطاع النجاة والرحيل إلى أوروبا يقدول : ".. أخباري : حاولوا جرّي مع معظم أو كل الطلبة العرب إلى الاشستراك في الحرب ولكني رفضت ومعي طالب واحد أن نشترك ، فأخذونا يوم أول يناير ويوم ٣ يناير 1٩٨١ ، واستمرينا عندهم حتى يوم ٢٥ يناير وخلال تلك الفترة : ناكل ضرب ونشرب ضرب ونستعلم إن هتلسر مسا كسائش واستمروا في كينا وتعذيبنا ثم رمونا رمية الكلاب على الحدود .. الحدود الأردنية ، فوقعنا مرة أخرى في أيدي المخابرات الأردنية ، وأيضاً قامت بالواجب إلى أن رمتنا خارج حدودها من حيث أكتب لك الآن .

لقد رقضت المشاركة في الحرب الأنني أعرف أنها حرب لـ نبح المسلمين في إيران ... وقراقوش العراقي لا يقبل سوى من يلعب معه في الماتش ضد إيران وإذا رفضت تحدث الطامة الكبرى وتجد نفسك في أقبية ومخابئ تسمع عنها في قصص العقاريت ... نسبت أقول : الناس الموجودة حالياً في بغداد من العرب والمصريين كلهم هتيفة مسن أول (...) وكلهم منظرين دلوقت لقلاسية صدام ... ولكسن معلهش با زهر !"

...

سأظل شاهدة لا تكتم الشهادة على جرائم صدام ضد السشعب العراقي ، تلك الجرائم التي لا تسقط بالتقادم ، والتي تقف في خندق واحد شهادة لم أكتبها ، حتى لا يأثم قابي

مع جرائم الاحتلال الأجنبي للعراق التي يرتكبها جورج دابليو بوش ورامسفياد وجنودهما ، وأتساعل من يكون المسئول عن مصرع الطائر الجميل ؟

الذي ينزع ريشه ومخالبه ويعجزه عن الطيران والدفاع عن النفس في الليلة الظلماء، أم الذي يرفع عليه الخنجر ويطعه وهو مشلول مطروح على الأرض ؟

فكروا معي جيداً قبل الإجابة ، وانتذكر من الأندلس " الإبادة " قبل الموشحات والأمجاد .

(إنلاصة) كما يقول أهل العراق إ

تعبير عراقي جلمع شامل أستحضره يقوة هذه الأيام ، وهدو : إنالاً وهوله العراقيون عندما تتشابك الأمور ويختلط الحابل بالنابل ولا يبدو في المعضلة مجال لمعرفة الرأس من القدم . كل النساس تبدو والمتحكمة إلا صاحب المحنة . كل الناس مقترحة ، ومحالسة ، وشسارحة ، وقاطعة إلا الشعب العراقي ، الذي عانى من قبل ومن يعد . تتكرر كلمسة "شعب موزاييك" ، فتقلب معني المغالطة التي صارت اللحن المميز لكل جالس قعر مجلس في ندوة تلفزيونية . لا أعترف بهذا التصنيف لأنسه مناف تماماً لما شاهدته على أرض العراق . صحيح أن بالعراق "أصدول" لأعراق مختلفة ، وهذا منطقي ليلد مغير لحضارات من الشرق والغسرب والشمال والجنوب ، لكن آلاف المنين من قبل ميلاد سيدنا المسيح ومن بعده ، كانت كافية لتمزج وتربط وتدمج كل الأنساب والأخلاط ، ليسصبح على أرض الرافدين شعب واحد له سماته المشتركة الخاصة به سحنة وقلباً وقلهة ومزاجاً وتوازع . صحيح هناك التركمان ، والأكراد ، غير والكلدان والآشور . . إلغ ، لكن كل هذا صار عربياً منذ زمن طويل . غير

صحيح أن حضرة " حزب البعث الاشتراكي " هو الذي اختسرع للسشعب العراقي هويته العربية وأجبره عليها ، بل لعل العكس هو الــذي نـــتج ، الذي أساء لرابطة العروبة والعربية التي لمت شمل أهل العراق على مر العصور . العراقي الصابئي يفتخر أنبه " أصبل العرويسة " بالعراة . . والعراقي "الأرامي" و"السرياني" و"الكلداني" و"الأثوري" كلهم ، بمعتقداتهم كافة ، يؤكدون أنهم "جذر العروبة" المجذّر بالعراق مثل النخل . وكل مذاهب المسلمين بالعراق يعلن منتسبوها أنهم "أحفاد" محمد رسبول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحقاد " ابراهيم " صلى الله عليه وسلم ، الله ي اسمانا المسلمين من قبل . ولا يكف الأسناذ الكردي ، عن تأكيد " وحدة الشعب العراقي " ويصر الطرف الآخر في الجدل - في واحد من البرامج الموارية - على تفصيص البدن العراقي إلى أنف وفم وعين وذقن وذراع وساق وقدم . سبحان الله . بل ويمن على الأستاذ العراقي الكردي بسأن " صدام حسين " هو " الوحيد " الذي أعطى الأكراد الحكم الذاتي ! ولا يملك الأستاذ المهذب أن يكمل: وما فالدة "حكم ذاتي " والعراق بأكمله في السلخانة ؟

ثم تأتى بعد "موزاييك "مقولة: " الأغلبية الشيعية "! ألم يئن
بعد أن نتقى الله ونتذكر من سورة الروم: " ولا تكونوا من المشركين ،
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لسديهم فرحسون "؟ إن
مصطلح "شيعة " و " سننة " به مغلطة لفظية ، فكل المسلمين على سنة
الله ورسوله ، ولا يمكن أن يكون هنلك مسلم غير ذلك ، كل أهل الإسلام

"سنّة " وتختلف الاجتهادات ، وكما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : الذا لله أمتي رحمة " ، وهذا ما يثبت لنا تماماً يوما بعد يوم . إذن فالمصطلح يكون : " مذاهب " ، وكلها " سنّة " . وإذا كان هنسك تقسيم " سياسي " قديم في زمن " الفتنة الكبرى " ، فلا يجوز لنسا أن ننسساقي وراءه بحيث ننتزع من تعداد مسلمي العراق قسما ونعطيه نسبة ، وتلعبه الأهواء ورقة يستفيد منها المحتل الغريب . ويل لأمّة كل قبيلة فيها أمة . يقف الشيخ في مسجد الأعظمية ويقول : " نحن أهدل قبلة واحدة " ، ويقف الشيخ في الكاظمية ، وفي النجف ، وفي كريلاء ويقول : " نحسن أهل قبلة واحدة " ، فما معنى اللت والعجن في حكاية "الأغلبية الشبعية" ؟

هذه الأظافر التي تبحث عن الجراح لتحكها حتى تدميها يجب أن تتطهر وتقلّم نفسها . ولقد تعجبت وأنا أتذكر قول سيدنا الحسين ، قبسل استشهاده في عاشوراء سنة ١١هـ، يستحلف زوجته الرياب وأخته زينب رضي الله عنهم أجمعين : " لا تُحَمشن عليّ وجها ولا تشقن علي جيباً .. ويا أخية اذكريني في نافلة الليل "! فكيف عندما يسسير موكب "التطبير " و"ضرب القامة" و"اللطم" يقول الناس : عادت " الحرية " لشيعة العراق بعد أن حرمهم منها صدام لمستوات ؟ أهذه هي " الحرية " التي كان منها " الحرمان " ؟ لا وعزة الله! لم يستدع صدام حسين آية الله " محمد باقر الصدر " في إيريل علم ١٩٨٠ ليساومه على "حرية " الله" مدمد باقر الصدر " في إيريل علم ١٩٨٠ ليساومه على "حرية " الله" منها أن المراب المساومة على "حرية الله" منها إلى المنافعة ، التي قامت في إيران فيراير ١٩٧٥ ، ولم يتردد العلامة ، مؤلف " فلسفتنا " و"اقتصادنا"

و"البنك اللاريوي" وغيرها من كتب العلم والفقه الإسلامي ، في اختيسار "الاستشهاد " الذي كان قد توضأ استعداداً له قبل أن يترك بيته مسصاحباً رجال الأمن ، إلى لقاء " ياتع العراق " الذي سأله : أي أسلوب من القتل تريد -- (ديمقراطية!)-- فقال الإمام : أن أنبح كما نُبح الحسين .

اكن صدام أمر بأن يموت رميساً بالرصاص في ١٩٨٠/٤/٨ وفي ذكراه الثالثة والعشرين بالتمام كان سقوط نظام صدام حسين في المدام ٢٠٠٣/٤/٨ يلة إذاعة الأخبار على الملأ صباح ٢٠٠٣/٤/٩) – وبعد يومين استدعيت الآنسة آمنة بنت الهدى ، شقيقة الإمام الشهيد ، بحجة أن شقيقها يريدها حيث تم تنفيذ حكم الإعدام بها بعد إجراءات تنكيسل وحشية جعلتهم يترددون في تسليم جثتها إلى أمها المكلولة ، ولم تكسن المساومة مع الأدبية الشاعرة المجاهدة آمنة الصدر عن "حريتها " في خمش وجهها وشق جيبها ، وهي الداعية العالمة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب" ، وإنني أذكسر أن الإمام الخميني حرم هذه الممارسات التي شاعت بين العامة ، وقال إن كل نقطة دم تسيل من مسلم لا تكون إلا في سبيل الله ودينه الحق .

الأعجب من كل ما سبق هو ذلك التأثرم الذي يختنق به الكثيسر من المثقلين بسبب خشيتهم من قيام حكم إسلامي بــــالعراق ، ويــسمونه "دولة دينية " وهو مصطلح مترجم عن دولة ثيوقراطية ولا نعرفه فــي إطار عقيدتنا ، لأن الحكم بقانون الله سبحاته وتعالى في الإسلام لا يعادله الحكم الكنسي الذي اشتكت منه أوروبا في القرون الوسطى . وقد قلـــت

مرة للدكتور لويس عوض أماذا علينا أن نسدد نحن فواتير أخطاء الحكم الكنسى " التيوقراطي " في قرون أوربا الوسطى ؟ وإذا كاتبت الخلافية العثمانية قد ارتكبت الكثير من الأخطاء التي وصلت إلى مستوى الجرائم في بعض أحوالها ، فإن النظم العلمانية التي ورثت الأرض من بعدها لـم تقصر في المنافسة وتفوقت على العثمانيين بما لا يمكن إنكاره. ويأخه الغضب مأخذه من أحد الكتاب لأن - على حد قوله - " لسم يعد علسى الشاشات سوى العباءات السوداء والعسائم البيسضاء ، هذه صورة العراقيين الآن . لا عراقي يرتدي القميص والبنطاون فيم الغالب ، ولا امرأة عراقية ترتدي الملابس الحديثة ، إما هي محجبة ... أو ترتدي العباءة السوداء المعبرة عن الانتماء السديني ، اختسر ال قسى الأشسكال والرموز القديمة ، في البداوة ، في أزمنة منقرضة ... " ، بذمتكم با أهل الفهم والعقل هل سمعتم عن " انقراض " للعمامة وللعباءة السوداء في العراق رصده أحد أو تكهن بـ " إرهاصاته ؟" لماذا يكون سارى الهندية وعمامة الهندى من المسلمات المقبولة والتي لم تنقص من قدر السسيدة أنديرا غائدي ، عند مثل هذا الكاتب الغضبان ، ولم يرها معبرة عن رموز قديمة في أزمنة متقرضة ؟ أما المشغولية التي صار الكافة بقدحون فبها زناد فكرهم فهي : هل جاءت قوات التحالف بحجة تحرير العراق من أجل " النفط " أم من أجل شيئ آخر ؟ هذا وهذه يقولان : من أجل النفط! وهذا وهذه يقولان : لا ... ليس من أجل النفط! ألا يكفى أنها جاءت لتسيطر ، ليقول كولن باول بلسان إدارته الأمريكية لحكام المنطقة : " التسرب مسن هذه القلة ولا تشرب من هذه القلّة! "ألا يكفي أنها قوات تكبل المنطقسة لتوازر الكيان الصهيوني ، وتقول بالقم الوقح: شارون رجل سلام ، وكل فرق المقاومة الفلسطينية والعربية إرهابية ؟ ألا يكفي...؟ إنها جاءت يا سادة من أجل ما هو أغلى وأثمن من النفط ، جاءت لتمحب منا السروح المنتصرة ، لتحولنا إلى بجع مسحور مسلوب الإرادة .

وقوق كل هذا ينجعص ، من قدموه بصفته سفيراً سابقاً بالعراق، ليؤكد أن مقولة الحجاج بن يوسف الثقفي عن الحرووس التي أينعت وحان قطافها وإنه لصلحبها ، مقولة صحيحة وأن العراق لا يناسبه منوى " الحجاج " أو " صدام حسين " لأنه بلد " موزاييك " ولابد من شدة بالقوة والحزم ! ولا يقرق حضرة السفير السابق بين الحاكم " الحازم " والحاكم "الجزار" ، " السفاح " ، قاتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق ...

وإنتي والله يا أيها الإخوة أرى ألسسنة قد " لبَحْبت " وحان سكوتها، وعليها أن تلم نفسها بالتي هي أحسن ... ولك الله يا شعب العراق العزيز .

رد غيبة الأستاذ ميشيل عفلق

كتب الأمتاذ الفاضل خالد القشطيني في عموده المنشور بعدد الشرق الأوسط الصادر ٢٠٠٣/٥/٢٨ تحت عنوان " من عفلقيات البعث " ما يستوجب مني أداء شهادتي لرد غيبة الأستاذ ميشيل عفلق ، موضحة أنتي قابلته مرتين وحيدتين في بينه ببغداد نهاية ١٩٧٨ ومطلع ١٩٧٩ ومطلع وكان ذلك بصحبة صديقتي العزيزة إحسان هائم بيات ، زوجة الأديب الصديق سامي الدروبي ، رحمهما الله ، اللذين توطدت صداقتي بهما منذ علم ١٩٢٦ ، عندما كان الدكتور سامي الدروبي سفيراً لسوريا بالقاهرة . ولقد استمرت صداقتي بإحسان هاتم بعد رحيل الدكتور سامي ، وكاتت تحرص على زيارتي ولقائي بالقاهرة حتى إبان صلتها الوثيقة بجبهان أرملة الرئيس السادات في أيام سلطة المعادات التي كنت فيها مفصولة الرئيس ممنوعة من النشر ، وخارجة من بيت أبويا ورايحة بيست الزعران – (معتقل القناطر يعني) – وعندما سافرت إلى بغداد ١٩٧٠ ، وجدت إحسان الدروبي أمامي في نهلية ١٩٧٨ قادمة من دمشق لتعيد نشر مؤلفات الدكتور سامي الدروبي من خلال وزارة الثقافة العراقية ،

قرحت بها ورحيت بدعوتها حين سألتني: "تحبي تشوفي الأستاذ ميشيل عقلق ؟ "قلت: " أنا بالنهاية صحقية ، طبعاً إذا كان ممكن ". أرسل لها ميشيل عقلق سيارة مخصوصة ، مرت بها علي ، وانطلقنا إلى داره ، ولا أذكر الآن موقعها أو اسم حيها . كنت متوجسة خلال الطريق مسن المقابلة فأنا لا أرتاح في لقاء " الناس المهمة " . كانت الدار محروسسة كأنها ثكنة صحرية أو معتقل خمسة نجوم . وأدخلونا غرفسة اسستقبال مستديرة مهذبة المقاعد ، خالية من ذلك الذوق المتوحش للأطقم المذهبة التي تبدو في بيوت المسؤولين الكبار متأهبة للاتقضاض والافتراس .

قلت ملاحظتي لإحسان ، فقالت : "يا صافي ، الأسانة صديق العمر مع سامي منذ كنا نغمس الخبز بالشاي ، دلوقت تحكمي بنفسك ! " دخل الأسانة ميشيل عفلق بعد برهة معتذراً لأنه لم يكن السابق في الغرفة لاستقبالنا يسبب شأن عارض . نحيف ، رقيق ، هادئ ، خفيض الصوت، كريم في عبارات الترحيب ، بشوش في استقبال الكلام ، أنصت لي جيداً وإنا أهرع بشرح أسباب حماسي للثورة الشعبية الإسسلامية على أرض إيران ، وأبين الخطأ في ترحيل الإمام الخميني من العراق - (اكتوبر الإمام الخميني من العراق - (اكتوبر أشكال الحكم فيها للأمة العربية هو الحكم الإماكم الذي بإمكانه أن أقرب أشكال الحكم فيها للأمة العربية هو الحكم الإملامي الذي بإمكانه أن يستمع مبتسماً ، عمان تشهيئ من "محاضرتي" ، فقال : " كلمك سليم ، وهذا هو التغير المنطقي ... لكن ... الإخوة هنا لهم وجهات نظر أخرى ... "قال

هذا بتموجات ألم زاهد في التفاصيل . داهمتي لحظتها الشعور بأن هذا الرجل " معتقل " حقا ، هارب من حكم " إعدام " مـن حـزب " البعـث " السورى ، ليتم اعتقاله وتحديد نشاطه من حزب " البعث " العراقي ، وهو " المؤسس لحزب البعث ونظرياته " ، كما قال الأستاذ خالم القسطيني، صواياً . أردت تحيته والتربيت على قلبه ، مأخوذة بتواضعه وصحفه، فقلت له : " لأن منهم قسيسين ورهباتاً وميشيل عفلسق ! " أشساح بيده: " لا ... لا... لست منهم ... ليس هذاك أحد من المسيحيين في هذا البيت سوى زوجتى والكبيبة! " إندهشت وقلت: " إذن ، أبو محمد ، نيس مجرد لقبك الحركي الحزبي " . سكت قليلاً ثم قال : " هذه أمور بيني وبين الله " . لم أزد ، المهم أنه " مؤمن " وليس " ملحداً " ، وتعله كسان يخشى الإعلان عن إسلامه حتى لا يتهم بالنفاق والمصانعة ، نعم تلك أمور بينه وبين الله ، أما القول بأن صدام حسين ، وجد مشكلة بعد أن وضع الله أكبر على العلم العراقي ، في أن يدخل العلم الكنيسة فهذا كلام غير صحيح لسببين : أن صدام حسين لم يكن ليجد معضلة في خرق أي قانون أو عرف أو دين ، ثانيا : ما هي المشكلة في أن نتقبل الكنيسمة كلمة " الله أكبر " ؟ إن كل مسلم ومسيحي ، صادق الإيمان ، يعرف حق العلم أن " الله أكبر " .

المؤسسان لحزب البعث ، مفكران ، أديبان هما : ميشيل عفلق وصلاح البيطار ، وكلاهما انتهت حياتسه بالنقي والاغتيال على يد السفاحين الذين اختطفوا " البعث " وجردوه من " الفكر " و " النظريات "

و "الطموحات "الإنسانية ، وحولوه إلى عصابات قطاع طرق يهلك ون الحرث والنسل . وإن معارضتنا لفكر البعث وتحليلاته لا تجعلنا نطعان ونغتاب حالمين، بوحدة هذه الأمة العربية ، وإن اختلفنا معهما ورأيناهما مخطنين ، تكفي نيتهما الحسنة ، ويكفي أنهما لم يمتلكا سططة ، بال "إمتلكتهما "السلطة وقيدتهما وكممتهما ، فهما "ضحابا " مثال سائر الشعب .

" بسم الله الرحمن الرحيم": يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هـو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون " . صدق الله العظيم/ المائدة آية رقم ٨ .

وسلام عليك يا " أبو محمد " وأنت في " نمسة الله " ، وهسو سيحاته وحده خبير بما كنت تؤمن وتعمل .

يا سلام سلّم الحيطة بتتكلم (يا له من منطق)

ضحكت وأنا أقرأ رسالة بائع العراق صدام حسين ، إلى الشعب العراقي يطمئنهم أنه بينهم وإن كان شابناً لا نسراه . هذه الرسسائل المزعومة تذكرني بعنوان مسرحية قديمة من مسرح الستينيات المصري لسعد الدين وهبة ، كان عنوانها " يا سلام سلّم الحيطة بتتكلم " ، وكسان معناها يتلخص في بيت شعر يقول :

" يا ناطقا من جدار وهو ثيس يُرى اظهر وإلا فهذا القعل فتان "!

ولأتني من أشد المؤمنين بنظرية المؤامرة ، في هذا العالم الذي تحكمه العصابات والمافيات والنوادي المشبوهة ، تحت رعايسة الحقيسة الأمريصهيونية ، فأتا مازلت أميل إلى أن صدام قد " سلم وتسلم وهرب من سراديبه إلى قاعدة أمريكية قبل بداية الفسزو الأتجلسوأمريكي علسى العراق ٢٠ مارس ٢٠٠٣ ، وترك وراءه مخزوناً من أشسرطة الفيسديو

والكاسيتات اللازمة للألعاب المطلوبة بين حين وآخر ، وأراها ألعاباً فسي غابة السذلجة والفجاجة ، ومن العجب أن البعض بصدقها ويأخذها مأخذاً جاداً. إن محاولة لصق مقاومة العراقيين للإحتلال الأجنبي ببالع العراق، حيلة لئيمة ، لا يستقيم معها منطق ، لوصم المقاومة الشعبية بالصدامية وللإيماء بأن بائع العراق في تناقض مع القوات المحتلة ، والتي هي في حقيقتها الامتداد المستمر لاحتلال صدام للعراق منذ ١٤ / ٧ / ١٩٧٩ . كل هذه الحكايات عن رؤية صدام بعد سقوط بغداد في هذا المكان وذلك الشارع يسير مع إبنيه الذنبين يقول : " انتهى كل شئ " ، فيبكى قصصى ويتشنج عدى ، هذه كلها من حواديت " أمنا الغولة " . لقد كشف صهدام حسين ظهر العراق وأرشد الأعداء الحلفاء ، حلفاءه ، السي الأرض والناس ، فكيف ثمثل هذا الموغد أن يقاوم أو يقود مقاومة أو يدعو إليها حتى وأو من وراء جدار وفيديو وكاسيت، وهو الذي تملُّك الـوطن ٢٤ عاماً فلم يرع فيه إلا ولا ذمة ؟ هذا الذي استباح كل حرمات الشعب العراقي ما له ومال مقاومة لمحتل ، لا يغيب عن أعسين أهسل السبلا. ، يتجول في شوارعهم ، ويقتحم دورهم ، ويستذل رجالهم بالمجنزرات والسترة العسكرية والحذاء الثقيل والعنجهية المهينة؟ وقع السبعض في الفخ وتساءلوا: أين الماء النظيف، أين الكهرباء، أين الوعود بالتحرير ؟ وكان لابد أن أنتحب وأنا أردد : كيف ترجون العدل من أيدى الجناة ؟ كيف تتعشمون الخير من البلاء ؟ متى كان يمكن لحدأة أن تسقط الكتاكيت ؟ تعرفون جيداً أنها قوات أجنبية ، فكيف يمكن أن تكون ملاكة تحرير ؟

إنها الجدب والوباء اللذين أتى بهما صدام ليكملا بعده مسسيرة الفراب والتخريب ، إنها الوجه الآخر للشؤم الصدامي فكيف لا تكون المقاومــة أهلية عراقية تحك بظفرها جلدها لتتولى بتفسها جميع أمرها ؟

لا يجوز لأحد أن يقع في أحابيل الخديعة التي تفترض المتناقض بين قوات الاحتلال وصدام حمين ، بحيث يتصور من يلعن صدام أن من واجبه الدفاع عن قوات الاحتلال ، ويتصور من يلعن قوات الاحتلال أن من واجبه الدفاع عن صدام وتبرير جرائمه ومقابره الجماعية والاعتقاد بأنه : يقود مقاومة عراقية ! يالله من منطق ، ياللها من مهزلة !

ولكن عذاري العراق لا بواكي لهن إ

معقود لمداني من الغيظ أتمتم: "... ولكن عذارى العدراق لا يواكي لهن "." رغد ورنا صدام حسين " في لجوء وضيافة وشروط: " لن نسئ إلى والدنا ... وقصي وعدي .. و.. "، لهما كل الحق ، قصندن الذين نؤمن به " و لا يجرمنكم شمان اللين نؤمن به " و لا يجرمنكم شمان قوم على ألا تعدلوا "، و" إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ". أصا وأن تتحشر أنوف لتخرط على قلوبنا البصل وتقيم سرائفات عراء لآشمين مجرمين شاركا في نبح واغتصاب وتشريد وإذلال وخراب ، فهذا ما لا يمكن قبوله . إن النسامح مع نساء صدام ويناته تسامح قيه كرم عظيم من جاتب الشعب العراقي ، بافتراض أنهن غير مسئولات عمن جرائم الوالد والأشقاء والعشيرة والأعوان ، وإن كن قد قسيلن المسكوت عمن بطن آلة القتل الجهنمية لنظام الوالد صدام حسين على مدى ٢٤ عاماً ولا يمكن أن يكن غير عالمات أو داريات بما يحور حولهن على أرض بمكن أن يكن غير عالمات أو داريات بما يحور حولهن على أرض

وبعد:

ما معنى هذا الاستفراز من " للبعض " على هذه الأرض العربية، شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، هـل يعتقدون أنهـم بهـذا ، الرئساء والتعاطف مع المجرمين ، يكونون قد أغاظوا قـوات الاحــتلال وقــدموا " التحدي " اللازم للجبروت الأمريكي و" الصمود " المفتقد للأمة العربية ؟

المحقيقة أنهم يتكأون جراح العراق وينثرون فوقها المر والعلقم وما يزيدها التهابأ واشتعالاً والاماً خطرة .

ما زئت أذكر وجه الأم العراقية ، التي جفت من عينيها الدموع، تقول وتقول فأقول ، وأنا مفري كبدي من العجز : "ابتهلي إلى الله إنسه المنتقم العزيز الجبار " ، فترد : " طول الليل شايلة يديا " ، فحي الليسالي السود عبر السنوات الطوال كن رافعات الأكف متضرعات إلى السودود المحليم ، ولم يكن لدي تصور لشكل العقاب الإلهي الكافي السذي بسشفي صدور هؤلاء الثكالي والأرامل والمكلومات ويذهب غيظ قلوبهن ، حتسى جاءت تلك النهايات العجيبة التي لم تكن تخطر لنا على بال مسن تعريسة وفضح لمصابة لصوص وقتلة جبناء يسلمون السوطن بسلا دفساع ، ولا يجيدون سوى الاختباء والتخفي للهرب " بجلدهم " وعلى أكتافهم يحملون يجيدون سوى الاختباء والتخفي للهرب " بجلدهم " وعلى أكتافهم يحملون على شاكلتهم ، يعرفون ساعتها "المقاومة" الخسيسة الوحيدة القطريسة على شاكلتهم ، يعرفون ساعتها "المقاومة" الخسيسة الوحيدة القطريسة

وهي " الدفاع عن النفس " ، فأين هـي البطولــة وأيــن هـي البــمالة المزعومة التي يتغنى بها ذلك " البعض " ؟

لقد أهلك الله الظالمين بالظالمين وحرام أن تأخذنا بهم الرأفة .

أين العظة التي تعمناها من الخصف بقارون ويداره الأرض ، ويغرق فرعون وجنده، ويأصحاب الأخدود السذين فتنسوا المسؤمنين والمؤمنات بالحرق والتعذيب ؟ أين العظة التي تتعلمها من الآيات الكريمة رقم ٣٤ ، ٤٤ ، ٥٥ في سورة الأنعام : " قلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا مسا ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخسنناهم بغتة فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم السنين ظلموا والحمد الله رب العلمين " . صدق الله العظيم .

والآن : دعونا نستمتع بصرخات الظللم الذليلة : " مملكتسي بحصان ! " للهرب طبعاً ، وليس للدفاع عن الوطن المخذول .

العراق يدخل مرحلته الحديثة من الملاحم والفتن

الإمام الشهيد على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - صاحب المقولة الخالدة: " نِعْمَ الحارس الأجل " ، حين نصحوه باتضاف حسارس يحميه من الخوارج ، وعند عتبة مسجده في النجف الأشرف نال حفيده السيد آية الله محمد باقر الحكيم شرف الشهادة ، بعد صلاته الجمعة فسي غرة رجب الشهر الحرام ، وقد تتوج مشوار جهاده النبيل بنهاية تليق بعالم جليل تؤهله للحاق بركب علماء أجلاء آخرين ، من أسرته ، سبقوه على درب الاستشهاد ، ثم يتخذوا حراساً لأن : " نِعْم الحارس الأجل صحيحة مئة بالمئة .

لكن من هذا الذي أحل سقك الدماء في الشهر الحسرام ؟ علمت الصيحات :إنهم الأمريكان الذين من واجبهم حفظ أمن العراقي !

وإنني والله لأجد الغرابة في هذه الصيحات .

لقد تم التنديد الكافي كل مرة ، بعد كمل حادثة ، بتقاعس الأمريكان في حفظ الأمن ، ولتفترض أن هذا صحيح ، زيمن ! يبقى التساؤل : فأين أنتم إذن يا أهل العراق وقد عرفتم أن ما حك جلدك مشل ظفرك ، أين جهدكم لحماية أنفسكم بأنفسكم ؟ هل منعكم أحد من تمشكيل فوري من متطوعين للدفاع المدني يهبون للحماية والحراسمة ومراقبة الأوغاد ؟

منذ أيام سبقت التفجير الذي أودى بالإمام محمد باقر الحكيم ، والشهداء الذين قتلوا معه ، كانت هناك محاولة لاغتيال عمه العالم سعيد الحكيم نجحت في قتل مرافقيه ، فكيف لم تشرئب الأعناق وترهف الرقابة في حرص لتمنع الاحتمالات المماثلة ؟ كيف يتم السماح لسيارات مجهولة تتقف وتأخذ قرصتها عند بوابات مسجد يؤمه الكثيرون من أحداء بسائع العراق المخفى المتخفى صدام حسين ؟

لا مصلحة لأحد في قتل آية الله الحكيم سوى صحدام حسين ، قاتل السابقين من آل الحكيم ومن آل الصدر وإخواتهم وأتباعهم وغيرهم من أقمار العلم الإسلامي من كل المذاهب – (لدي منذ سنوات سجل ضخم من مجلدين عنواته " جراتم صدام " يزخر بالشهداء العماء والمجاهدين الذين قتلهم صدام حسين ، من شمال العراق إلى جنويه ومن شرقه إلى غريه ، فجراتم صدام – والشهادة لله – تميزت بالعدالة في الظلم ، ولسم غريه ، فجراتم صدام – والشهادة لله – تميزت بالعدالة في الظلم ، ولسم

تفرق بين المذاهب ولا الأعراق فقد رأت أهل العراق أمة واحدة تسستحق ضربات رسالة صدام الخالدة في متاحف السفاحين!).

نعم لا غرابة في أن يحاول صدام حسين – وهو يحمل على كنفه زكيبة الدولارات المسروقة من مخازن الدولة – دفع أتباعه والمأجورين لقتل آية الله محمد باقر الحكيم الذي أعلن من منفاه فسى إيسران ومسن موقعه في قيادة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بالعراق ، على مدى 21 سنة ، مقاومته السافرة للطغيان الصدامي .

لا أحد يملك كل هذه القدرة على التخريب والإضسرار سسوى الهياكل المنطة من عصابة النظام الصدامي التي ساهم الغباء في إثارتها واستقزازها حين قرر بحماقة لا مثيل لها تسريح الجيش العراقي وطسرد كل من انتمى إلى حزب البعث من وظيفته بخراب بيت مستعجل ، لابد أن تكون من بعض نتائجه أن يندفع اليائس المطرود والمخروب بيته إلى كل وسيلة يراها إنقاذاً أو ثاراً .

المعروف أن معظم من انتمى إلى حزب البعث كان مجبراً لأسباب مختلفة ويطرق شتى ـ كاتت الطرقات مسدودة أمام كل مواطن لا لينتمى إلى البعث : الطالب النابله لا يمكنله مواصلة الدراسلة العليا والترشيح البعثات والعودة لمناصب التدريس والعمل بالجامعات والمراكز الثقافية والإعلامية والعلمية إلا بالانتماء للحزب ، وعلى هذا المنوال يمكنك القياس من أول بلع الكباب والشلغم المسلوق المنقوع في الدبس

ويائع الصحف وما هو أدنى ، حتى أعلى المناصب ، مروراً بحقك في ركوب حافلة " المصلحة " والتمتع بأي حق من حقوق شهيق وزفيسر المواطنة – (تماما وأكثر مثلما كان الحال في العهد الناصري بمصر حين كان الانتماء للاتحاد الاشتراكي فرض عين على كل مواطن ومواطنة من المهد إلى اللحد . وأذكر حين أراد العهد المعاداتي فصلي ، وآخرين مسن مؤسساتنا الصحفية ، بدأ الأمر بقرار فصلنا من الاتحاد الاشتراكي – كان الاشتراك فيه بقرشين صاغ تدفع إجبارياً – واستتبع ذلك قراراً آخسر بالفصل من نقابة الصحفيين تلقائياً لأن النقابة كانت تشترط لعضويتها عضوية الاتحاد الاشتراكي ، واستتبع الفصل من النقابة القصل مسن المؤسسات الصحفية التي تشترط عضوية نقابة الصحفيين ، وهكذا كانت لعبة الحصار اللثيمة لقطع العيش والمنع من العسل والقتال المعنوي

مع حزب البعث الصدامي كان الحصار أشد وطأة ، مسن سسائر النظم الاستبدائية التي عرفناها أو سمعنا عنها ، كان الحسصار محكمساً غلية الإحكام حتى الخنق – مجازاً وحقيقة – ولذلك حسين هسرب بسائع العراق صدام خاذلاً الوطن ، والحزب والعشيرة والأعوان ، كان يجب أن تنطلق حكمة : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " لتطمئن العراقي مسن كسل حسدب وصوب على أنه لن يسدد عن السفاح الغرامات ولن يحمل العقوبات بديلاً عن المجرمين الأصليين ، وعندها كنا سنرى البجع المسحور المسوروط في قمقم السلمر الشرير وقد عادت إليه إنسانيته خارجة مسن محسبس

السراديب البعثية الصدامية ، وكنا سنرى الأيدي التي كانت لصيقة بالحكم والمناصب هي أول من يرشد إلى فاعلى الجرائم والخرائب والحرائب والحرائب ، وكنا سنراهم هم الذين سيأتون ببائع العراق مكبلاً في ققص الوحوش المسعورة مجلوباً للمحاكمة على رؤوس الأشهاد لتشنقه جرائمه وتطعنه مخازيه .

ولكن لأن " الحماقة أحبت من بداويها " ، واصل الأغبياء حصار الذين حاصرهم صدام من قبل ، فلم يكن أمامهم سوى ما تراه من آثارهم من أفعال " مقاومة " للنفاع عن "دواتهم" وتحت شعار : " أنا وبعدي الطوقان " و" بعد رأسي ما طلعت شمس "!

وهكذا يدخل العراق مرحلته الحديثة من " الملاحم والفتن " .

صورة صدام

غير صحيح أن الأنب والفن العربي تجاهلا الطغيان الصدامي ولم يعبرا عن وطأته على الشعب العراقي طيلة حقيته السوداء ، الممتدة بتوابعها حتى الآن بصور وأشكال عدة وأمراض متفاقمة ، فأتا أصر على تحية الفنان الفذ منصور رحباتي ، على عمله الرائع " آخر أيام سقراط " تحية الفنان الفذ منصور رحباتي ، على عمله الرائع " آخر أيام سقراط " الذي تم تقديمه على خشبة دار الأويرا المصرية مطلع عام ١٩٩٩ وفيها يصور نموذج الحاكم السفاح الطاغية الذي يسؤدي دور الطاغية ، وطنه ، وتعد المخرج أن يحاتي الممثل الذي يسؤدي دور الطاغية ، حركات وإيماءات صدام حمين وابنه عدي . كما أننسي أحسب أن أنسوه برواية الكاتبة المصرية " نعمات البحيري " التي صدرت عن سلسلة روايات الهلال ديسمبر ٢٠٠٠ تصت عنصوان : " أشمار قليلة عند المعرق تحت المحرية التي المتعاد القواف الدي عاشمة المورق تحت العمل العراق تحت المحرية التي أغرتها الدعوة المعلى بالم كذلك الهوان الذي عاشمة المصرية التي أغرتها الدعوة المعلى بالعراق في ظل حكم انتهج الاستعباد المسية التي أغرتها الدعوة المعلى بالعراق في ظل حكم انتهج الاستعباد والاستبداد مبدأ وعقيدة . بطلة الرواية " الأنا " المتكلمة ، شابة مصرية المسيدة القواف الذي عقوات الذي المتكلمة ، شابة مصرية الته المتكلمة ، شابة مصرية المتكلمة ، شابة مصرية الته القواف المتكلمة ، شابة مصرية الته المتكلمة ، الأنه المتكلمة ، المتكلمة ، شابة مصرية المتحدد المتحد

اسمها" أشجان المصرى " تزوجت من شاعر سافرت معه إلى بلده العربي - مفهوم أنه العراق - تتصرف أشجان المصرى بتلقائية المصرية التسي لا تحسب حساب أجواء التريص والمراقبة والهيمنة التي يفرضها نظام حكم البلاد على شعبه ، في سبطرة كابوسية لا فكاك منها . تلقائية الشابة المصرية نابعة من خلو ذهنها التام - إلى حد السنداجة - لتسصورات الكيفية التي يمكن أن تسد بها النظم الديكتاتورية المنافذ على الناس (في وطأة شديدة من كتم للأنفاس) حتى تزهق الروح تماماً . رويداً رويداً تكتشف أشجان المصرى النفق الرهيب الذي صارت بداخله ومن هنا يبدأ بحثها المستميت للخروج والفرار . أهم ما في هذه الرواية هو التصوير الدقيق (والنقل الأمين) لمأزق الآلاف من المصربين البسطاء ، اللذين خرجوا من ديارهم طوعاً بإغراء البحث عن الرزق الأوسع ، فوجدوا أنفسهم قد تحولوا إلى عبيد مسلوبي الإرادة والحرية ، بعد أن استرقهم نظام الدولة الشقيقة ، بالاستيلاء على وثائق سفرهم ويطاقات هوياتهم ، وتسخيرهم في مهن جمع القمامة ، وكسح المجاري والسياكة ، وسائر الأعمال التي ينظر إليها أهل البلد على أنها أعمال حثالة البشر . " أشجان المصرى " هو اسم البطلة ، لكنه في واقعه كان دفتر أحوال لعنصر مجنون استولى فيه " الوحش " على " الجميلة " مغتصباً ، ومنتهكاً ، وممهدا السبيل تعدوان باقى الوحوش المسعورة .

على مدى خمس صفحات من هذه الروايسة النسي تستغرق ١٦٦ صفحة ، تصف الموافة "عمات البحيري" في ألم وطرافة ، الهلع

الذي تولد حين قررت " أشجان المصرى " ببساطة مسح زجاج بيتها بهرية، الجرائد! تقول: " أخذني عائد من يدي وشدني خلفه وأوقفني أمام صفيحة القمامة ، وراح يخرج تلك الكتلة المؤلفة من أوراق وفسوارغ وتفل شاى وقهوة ... ويقايا تنظيف خضروات وفاكهـة . كاتـت ورقـة الجريدة التي مسحت بها زجاج نافذة الصالة مبلولة ومطوية داخل نسيج الكتلة . وماذا في ذلك ؟ أن أمسح زجاج البيت بورق الجرائد ؟ كانت نظراته تنتفض بشرر لا تطفئه إجاباتي اللامبالية كما تبدوله ، وكنت ما أزال أحتفظ ببعض من وداعتي في استقبال هوس الآخرين ... أجابني بصوت مبحوح أن صورة السيد الرئيس تتصدر صفحة الجريدة . الم أقصد شيئاً مما تخشاه ، مسح الزجاج بالجرائد طريقة أكثر شيوعاً بين الناس في بلدى ويلاد أخرى . بدا عائد وكأن حشداً من كو ابيس المقظية يداهمه ، صفوف من الحوف والرعب والفزع ، فراح بفرد لي الصفحة لأرى صورة السيد الرئيس المبلولة والمخدوشة مثل وجه مكرمش ومشورة . وفي لحظة وكأنه تذكر شيئاً ، جرى كالممسوس إلى باب البيت، يفتحه وينظر يميناً ويساراً ، ثم النافذة ليفتح ضلفتيها ويتبصص في كل أكثر من مرّة . وكأنه يرغب في التأكد من شئ ما " ، ثم تــسرد البطلــة المحاولات المختلفة للتخلص من هذا "الجرم الفادح" حين تحولت صورة الرئيس المبلولة كأتها جثة قتيل مطلوب التخلص منها وإخفاء آثارها. حاولت وزوجها حرقها فلم تستجب ، بسبب البلل ، لعيدان الكبريست ، "أخبرته أن مسألة إلقاء الورقة في التواليت وشد السيفون فوقها صارت حتمية في ظل غياب يدائل أخرى . مر الوقت وارتبك إحساسي بكل شيئ حتى به وأنا وهو نقف محنيين ، نتابع الصورة والماء الغزيسر بتسدفق فوقها . وعلى الرغم من تكرار عدد مرات شد السيفون ، ظلت المصورة طاقية فوق الماء وملامح السيد الرئيس تتبعج وتتبدى وتتضح وكأن الروح قد ردت في الورقة.... وقد صارت ملامح السيد الرئيس أكثر حدة ودقة من ذي قبل وبدت نظراته وكأنها تتوعنا بشرور أخرى قادمة . دق جرس الباب فأمسكت بعائد وتصالبنا إلى الجدار .. " وتنتهي المفامرة بالسهر حتى الفجر الانجاز تمزيق الصورة إلى "قصاصات نحيلة وإلقائها في البالوعة"! .

ولم تشعر بطلة الرواية بأى درجة من تأثيب الضمير بسبب ما فعلته بالجريدة التي بها "صورة صدام " لأنها تساعلت : " ... فكيف لا يكون لورق الجرائد دور حيوي في حياتنا غير الكذب والتشويه والتعتيم والتعنيب .. "

حقاً إنها رواية جديرة بالقراءة على ضوء ما جد مسن أحداث ومن تطور لموقع "صورة صدام"!

من سفَاح إلي سفَاح

انتهى عام ٢٠٠٣ بكارثة "طبيعية "حصدت الآلاف في "بسم " الإبرانية ، وكارثة "غير طبيعية" أسقطت طائرة على سسواحل "بنسين" قتلت وأوجعت المنانت ، بالإضافة إلى كوارث أخرى نطقت بها الألسسنة ، وكتبتها الأفلام ، وسجلتها المجادلات القضائية : من قاتل بالعربية وقائلة: "لساذا الحضارة الإسلامية ماتت منذ زمن " ، إلى قاتل بالفرنسسية : "لمساذا تطالبونا بعدم حظر غطاء الشعر ، بينما لا يمكننا بناء كنيسة في مكة ! " و" شرودر " الألماني يشد على يد " شيراك " بمجامع الحسم العلماتي في و" شرودر " الألماني يشد على يد " شيراك " بمجامع الحصم العلماتي في مؤسسة على ثلاث ركائز : هي الحضارة اليونائيسة الروماتية، والديانة اليهودية المسيحية ، وعصر " الأنسوار " ، أي التنوير " ، أي " النهضارة الإسلامية " ، ويندون بس " المنافية " العربية ، والذين ينعون " الحضارة الإسلامية " ، ويندون بس " المنافية " العربية ، والذين ينعون " الحضارة الإسلامية " ، ويندون بس " المنافية " العربية ، جامدة ، ولا يرون غرابة في مطلب لبناء كنيسة في مدينسة لسيس بهسا

مسيحي ولحد ، بيتما يندهشون من إصرار أكثر من عشرين مليون مسلم أوروبي على ممارسة حرياتهم الدينية ، ولو في أضعف أشكالها مثل حرية اختيار أسماء مواليدهم . وهكذا تتبدى الكارثة الكبرى في الخنوع والخضوع والمذلة والمهاتة الاختيارية التي يسوق العسرب والمسسلمون أنفسهم اليها . وحين تريد أن ترقع رؤوسنا ونخرج من ركام الانسسحاق بلوحون لنا بصور " صدام " و" عبد الناصير " و "السيادات" و"القيدافي" وأمثالهم ، كأننا لا يجوز أن نحيا إلا تحت كوابيس القتلة والسيفاحين والظالمين ، الذين لم يكونوا يوماً " رؤساء دول " بـل " خـاطفى دول " و" جلادى شعويهم " . وتعبّر النكتة عن الواقع النفسى المؤلم الذي اتحدر إليه العرب، ، فتحكى عن ثلاثة محكوم عليهم بالاعدام ، الأول أوروبسي والثاني أمريكي والثالث عربي ، ويتم سؤال الأوروبي بأي وسبلة تريد أن تموت؟ فيختار المقصلة ، وعند التنفيذ يتوقف سكين المقصلة قيل الوصول إلى قطع عنقه فيقولون له: براءة من حقك مواصلة الحياة ، ثم يتجهون إلى الأمريكي ويسألونه السؤال نفسه بأي وسيلة تريد أن تموت? فيختار المقصلة ، وعند التنفيذ يتوقف سكين المقصلة قبل الوصول إلى, عنقه فيقولون له: براءة من حقك مواصلة الحياة ، وعندما يتجهون إلى سؤال العربي بأي وسيلة تريد أن تموت؟ يقول : المسسدس طبعاً .. ألا ترون أن المقصلة معطلة ولا تقوم بولجيها!

ولا نضحك ، رغم أنه ضحك كالبكاء ، فإطلاسة العسام الجديد ؛ ٢٠٠٠ تدق أبوابنا بوطأة تحلف صهيوني أمريكي أوروبي شرير ينهش لحمنا ويشرب دماءنا ، في فلمعطين والعراق ، بترسانة لسصوص ، لهسا قلوب أقسى من الحجارة ، نطلق المدافع ، والقنابل ، وتسدك البيسوت بالمروحيات والمجنزرات ، وترغم الأعزاء على الانبطاح أرضاً والأنسف في التراب والرأس تحت الحذاء الثقيل لجندي أجنبي شساكي السسلاح . وتخزق العيون صورة أطفال عراقيين متلفعين بدثار في ليل برد السشتاء العراقي القارس ، ينظرون في استفهام إجابته يقظة على التسوحش في ممارسات قوات الاحتلال خلال حملات القضاضها الفاجر على المسماكن والبيوت والمنازل والأحواش والحدائق والبساتين ، والنخيل والحرمسات كافة بحجة " التفتيش " .

عن أي شئ " هكذا " يبحثون ؟

أسلحة ؟ خصوم ؟ أم عن " روح " مقاومة شعب مجروح خرج من مقبرة طغيان ودكتاتورية وفساد لصوص ، ليقع في بدر إذلال وقهر محتل ، وهلع جماعي لا يعلم متى تسكن فيه العواصف وتتطفئ به الحرائق ؟

تفتيش ، تفتيش ، تفتيش من قبل ومن بعد ، والتوحش واحد ، والغلظة متطابقة ، والقسوة الباردة تدير آلة الفتل المعتاد من دون عقل ،

والتعب المتواصل يهطل على رأس الأبرياء ، تماماً كما كان علسى مسر المنوات الطوال في ظل حكم البعث الصدامي .

كان السفاح بالع العراق صدام حسين يقتل وينتهك رافعاً راية: "القضاء على خصومي واجبي حتى الإفناء "! وجاءت قـوات الاحـتلال الأنجاوأمريكية، تحت قناع سترة "الإتقاذ"، تمارس الجرائم عينها: تقتل وتنتهك وتكيل وتهين الشيخ الوقور والمرأة المستورة والطفـل الجـائع رافعة الراية نفسها: "القضاء على خصومي واجبي حتـى الإقناء! "والنتيجة هي: أرض حضارة الرافدين بـين كماشــة الأتــذال تواصــل مشوارها التاريخي في تلاطم أمواج الملاحم وزلازل الفتن!

والحكمة التي يقولها القلب هي : " لا يمكن أن يتحقق الخلاص من سفاح على يد سفاح آخر! ".

ملاذ العراقي : قاتل عند كل زاوية !

في ١٠ / ١ / ١ / ١٠٠١ ، كتبت مقالاً نشر بجريدة الوقد القاهرية، جاء في نهايته الآتي : "نشرت جريدة الأهرام الصادرة فسي القاهرية، جاء في صفحتها الثامنة ، تحت عنوان "شنون عربية "، هذين الخبرين متجاورين ، الأول ، نقلاً عن وكالة الأتباء العراقية ، مفاده ان الحكومة العراقية برئاسة صدام حسين قد قررت ، ولأسباب إنساتية ، تخصيص مبلغ مائة مليون يورو الفقراء الولايات المتحدة الأمريكية ، والنين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة ، وأنه تقرر أن يجرى توزيع المبلغ تحت إشراف هيئة عراقية يتم تشكيلها لهذا الغرض ، وأن يجمع إطلاع الأمين العلم للأمم المتحدة على هذا القرار. أما الخبر الثاني فجماء به تصريح للدكتور نبيل شعث يطن أن الدعم العربي ، الذي قررته القمة العربية للقدس والانتفاضة ، لم يحول منه حتى تاريخه او أي شمئ ! هذه معلومات قديمة لإنعاش ذاكرة من يحلول أن يغالط بتصوير النظام الصدامي وكأنه كان قومياً ، حاملاً الهم الفلسطيني في سمويداء قلبه .

عطاء لفقراء أمريكا ، في الوقت الذي كاتست صسورة أطفال العراق الجوعى، المرضى ترفع صرخات واستغاثات تهيب بالضمائر أن أنقذونا فالموت يتهددنا . توقفت أمام جملة كتبها لؤي عبد الله ، في مقاله الغني "هل وصل الربيع إلى بغسداد " بالسشرق الأوسسط ٢١ / ٢ / ٢٠٠٤ ، يقول: " ... فهذا البلد الذي تركته قبل ٢١ عاماً كان مثلاً أعلى للأمن ... " أهكذا ؟ " مثلاً أعلى للأمن ؟ " ، في نفس اليوم ٢١ / ٢ / ٢ / ٢٠٠٢ أتابع برنامجاً في قناة العربية عن عائلة صدام ، يظهر صديق عدى بتحدث عن اللسان الذي يقطع ، والأذن التي تبتر ، وأرى لقطة لعدي فسي مزاحسه الفاحش بضرب واحداً من ندمائه بالحذاء على رأسه ، نسزوات مسريض تنكل بالأصدقاء والندماء ، فأي " أمن مثالي " كان من الممكن أن يرفرف على أمل العراق في ظل نظام تحكم فيه مثل تلك العائلة ؟

أصبح خبر اكتشاف مقبرة جماعية جديدة في العراق يمر هادنا، كأن المقابر الجماعية من المحاصيل الطبيعية لأرض الرافدين . لم تكن هناك آلات تصوير لفضائيات ترصد جرائم السطو مسن سلطة الدولسة الصدامية ، وقطع الطرقات ، ودهم البيوت وسحب السضحايا بالركلات والصقعات ، والطرد والتشريد ، والخطف والاعتقال الأبدي حتى المسوت بالذبح أو الشنق أو الإذابية ، لكن الذاكرة اختزنت هول ما كان مستوراً عن أعين العالم . للجرائم التي حاقت بالشعب العراقي لا يمكن أن تسمقط بالتقادم ، ولا يمكن رؤيتها إلا خلفية مؤسسة لقواجع العراق الحاليسة . إن الاحتلال الأمريكي للعراق من توابع السزلازل والانهيسارات . ظلست مخابرات أمريكا تهدي صدام إخباريات عن كل مقاومة أو تدبير للإطاحة به ، وتبارك مجازره على طول السنوات حتى تنفرد بإسقاطه – (أو مسا يبدو إسقاطه) – لتبدو هي " الرجل الوطولط " المنقذ القادر وحده على تدمير الشرير – (وقد بدا في يدها هلامياً متكسراً شبحاً من بخسان) – الذي لم يستحق منها سوى أن يتحفظ عليه تحت درجة : " أسير حرب " ! تغيظني الخطابات النادبة الناعية لما يجري بالعراق تحت الاحتلال ، كأن الاحتلال كان اختيارياً وانتخاباً وخلاصاً مرجواً لكنه بدد الآمال !

الأستاذ الفاضل خلاد القشطيني ، وأنا على ثقة أن بنر الألم لإبد عنده غويط ، يقول في زاويته المنشورة بالسشرق الأوسسط ١٦ / ٢ / ٢ , يتعين إثارة رعب مشابه لما كان في عهد صدام ، بحيث يدرك المجرم أن عيون السلطة تترصد له في كل مكان . ريما يليق إدخال عدد من الشرطة المسلحة ضبوفاً على البيوت أو المتاجر بحجة الترصد لمجرمين . الفكرة من ورائها إشاعة شعور الناس بأن قوات الأمن في كل مكان ... " . لم أبلع هذا القول الصعب ولا أرضى أن يكون من بعض مزاح الأستاذ القشطيني كما لم أتصور أن يكون من بعض جدة ، إذا أرجو أن يكون من بعض خضبه الذي يورث الخطأ ، فلا يمكن ونحن نرى نهاية صدام المهينة وعاقبة ظلمه وجرائمه ، التي يستحقها وأكثر عن جدارة ، أن ننصح باقتفاء أثره ونسير على نهجمه في التجسس والتلهك الحرمات لكي نصل إلى المسئولين عن جرائم القتل والنسف ضد الشعب العراقي المكلوم . لابعد أن هناك طريقة ما حير الحرام - لكي يستنب الأمن .

ويظل ما يدور على أرض العراق العزيز يتشابه كثيراً مع أحداث فيلم سينمائي كان عنوانه : " قاتل عند كل زاوية " ، فصا كاد السشعب العراقي يفلت من القاتل الأول وعصابته حتى وجد نفسه بين زوايا قتلة يتربصون به يدعوى " الإتقلا " . يتعارك القتلة فلا تنسزل السسكاكين إلا على رقبة الشعب العراقي ، ولا تتهدم البيوت إلا على رأسه ولا يحيق الدمار إلا يأماته وأمنه . وبين صيحات ووجوه تليس أفتعة " المقاومة " ، وصبحات ووجوه تليس أفتعة " المقاومة " ، المحلا " الواقي من القتلة . لابد لهذا الوطن مسن مَصْرَح بعيداً عسن "الالتباسات" . مخرج لا يعرف مسالكه سوى هذا الشعب المجروح الدني عاتى من " احتلل " سابق بلون الأرضية ، لا يهمه الآن سسوى إنقاذ فلوله وذبوله وتعويض خسائره بأتانية انتهجها دوما ، ومسن احستلا أجنبي ، لا يهمه الآن سوى إنقاذ ماء وجهه ومسداراة كذباته وتجميل بطشه الذي تقضحه ضراوته ولا إنسانيته ، التي تقوده دائما .

لابد المشعب العراقي من تملك زمام "مقاومته " و " تحريره " و " نجاته " بيد "واحدة" متوحدة مخلصة ، تكون قد تعلمت أن خلاصها من السفاح لا يمكن أن يتحقق على يد سفاح آخر ، ولا يمكن أن يتم الاستقرار والأمن لأمة كل قبيلة فيها أمة !

... رُبّ مستمع والقلب في صمم إ

صارت المغلطات والأخطاء ، والافتراءات والكذبات مثل الذباب المتكوم في محل فسخاتي ، لا يكاد الإنسان يهشه حتى يعود مكاته ، جالباً معه المزيد . نموذج من هذا النباب الغليظ قرأته يقول صاحبه : "... ولهذا فإن التركيز على ممارسات صدام حسين والبعث الآن ، ومهما كان حديث حق وحقائق ، يخلم بلا شك الباطل الأمريكي ويكرسه وينتاغم مع ما يعزف عليه من أكاذيب ، ولم تعد ثمة مصلحة وطنيه أو قومية في ترديده بعد أن أصبح البعثيون طلائع المقاومة العراقية المجيدة ونال صدام شرف قيادتها ولو ليضعة أشهر واستشهد ولداه في إحسدى معاركها ... أنتظر كل مساء أنباء المقاومة العربية وعملياتها المظفرة وأعرف أن بعض البعثيين في مقدمة صقوفها وضمن شهدائها ... ولسو كنت أعرف أن بريمر والجلبي هما بديلا صدام حسين لتمنيت أن يحكم صدام حسين إلى الأبد ... "

كيف يصل واحد من الناس إلى هذا التلبيس؟

إذا كانت ملة الكفر واحدة ، فكيف لا يقودنا المنطق نفسه إلى ان : ملّة الباطل واحدة، ملّة القتلة واحدة ، ملّة الفاسدين والطغاة والغزاة واحدة . إن " الباطل الأمريكي " ليس بحيلاً لحد" باطل صدام " بال استمراريته ، والمعركة التي قتل فيها عدي وقصي لم تكن دفاعاً عن الوطن ، بقدر ما كانت منازعة خذل فيها الأوغلا بعصضهم البعض . إذا كان هناك من لا يزال يتمنى لو ظل صدام حاكماً ، فليطمئن : فالأمنيسة متحققة لأن آثار جرائمه ونتائج بغية لا تزال سائدة وحاضرة في خلفائمه المحتلين الذين باعهم العراق ليفر بدرجة " أسير حرب " وتفر عائلته ، فولول عصابته ، بزكائب المنهوب من مال وثروة شعب العراق .

أي "طلامع مقاومة مجيدة" ، تال صدام "شرف قيادتها" ، تلك التي تبقر بطن العراق تحرق نخائره ومكتباته ووثائقـــه وتـــدمر أثـــاره وتسرق متاحقه ، وتفجر مساجده ، وتقتل شيوخه ونساءه وأطفاله ؟

في ظل الحكم الهتاري كتب المسرحي والشاعر الألماتي برتولد بريخت قصيدته الشهيرة "إلى الذين سوف يولدون يعدنا "قسائلاً في مدخلها: "أنا أحيا في أيام حالكة الظلمة ، معتوه من يتحدث فيها ببسرئ الألفاظ ، الجبهة لا تلمع إلا في وجه بليد الإحساس ، من يضحك هو من لم يعرف بعد النبأ الفلجع ، أيام يجرم من يتحدث فيها عن الأشهار ، مسدلا الصمت عن الأعمال الوحشية ، وتمددت لكي أهجم وسط القتلة ، في أيامي كانت كل الطرق تؤدي للمستنقع ، ويكاد لساني

يسلمني للسفاح ، ، كنا تمضي تستبدل أوطانا ، أكثر مما نـستبدل أحذية ، " ، كل هذا التأوه البريختي ليس سوى الطفيف من الأنسين العراقي في ظل الحكم الصدامي الممتد حتى الآن عرضاً مستمراً في الزي العسكري الأمريكي .

كتب بريخت تلك القصيدة يبرئ ذمته من الحكم الهتاري ، وكان للحكم الهتلري "إنجازات" ، كما كان للحكم الموسوليني في إيطاليا ، فقد يني هتلر ، ويني موسوليني ، الشواهق من الاقتصاد والصناعة والسدود والجسور والأتفاق ورصف الشوارع ، وتعبيد الطرق ومد الممكك الحديدية وزرع القمح والبطاطس ... إلخ ، وحقق هتلس الألماتيا " انتسصارات " حربية هائلة في مواقع كثيرة ، اجتاح فرنسا ودخل روسيا وانتصر شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا قبل أن ينكسر دفعة واحدة ويسقط هو وموسوليني من حالق ، لكن بريخت ، عندما وقف ضد هتار وهو في قمية زهوه بإنجازاته ، لم ير في هتلر غير سفاح شاذ يتفنن في القتل ويبتكر لــه الوسائل التي يتفتق عنها خياله المريض ، متهما خصومه بأنهم أعداء التقدم والحرية وعصابات التخريب والإرهاب . وكان الناس فريقين : فريق صامت يمضغ المرارة في الخفاء ، أو مرتش بتمتع بقريه من السلطة ويما يصيبه من منافع . لم يحقق صدام للعبراق أي شيئ مين "إنجازات" هتلر " المادية " لألمانيا ، لكنه حقق المجازر والجرائم وتفوق في إفساد الفطرة البشرية السوية ليجد الأعوان والحاشية والأدوات ومن وما يحقق له قهر خلق الله وإذلالهم . وكانت الآية الكريمة : بيسم الله الرحمن الرحيم : " واتقوا فتنة لا تصبين الذين ظلماوا مسنكم خاصسة "

تذيراً، لمن آثر السلامة ، تخيرهم أنهم ساوف يادفعون ، إن آجالاً أو
عاجلاً، عقوبة صمتهم وسكوتهم وقبولهم رشوة " النجاة " مان بطاش
الطاغية في مقابل التفاضي عن سحق الروح وتشويه القطرة وإهدار عزة
الإنسان ، أكرم خلق الله ، وتعليه بالشبهة والظن ، بل و"المازاج" مان
دون جريرة اللهم إلا لإرضاء شهوة البطش والبغي والجور .

أمريكا تخرج أضفانها

ما أجمل لوحة الكاريكاتير التي رسمها القنان أمجد رسمي تصور وجه بوش يتحول إلى وجه صدام إبان غروره وسطوته الغيبة. واللوحة يمكن أن نقرأها من اليمين إلى الشمال أو من الشمال إلى اليمين المناتحول من " بوش " إلى "صدام " هو بذاته تحول " صدام " إلى "بوش"، لأن احتلال بوش المعراق تطابق مع احتلال صدام لأرض " النازفين " . بالطبع لا نندهش من نتلج الاحتلال بعد علم من تخلي السلطة الصدامية عن مسئولياتها في صيانة البلاد وحمايتها من الغزو ، وتركها للشعب العراقي يواجه القصف باللجوء إلى المسجد والاستغاثة بالله سبحانه وتعالى . ما زالت هذه اللقطة التليفزيونية ثابتة لا تتزحزح ، شاهدة على نذالة السلطة الصدامية ، إن لم نعزف بـ " مؤلمرتها " وبيعها للعراق مقابل تسهيل الفرار اللصوص بزكائب الدولارات .

في خلال العام لجأت سلطات الاحستلال إلسى كسم هائسل مسن الإجراءات التي كان من شأنها أن تشيع الفوضى والمقساتلات والهسرج

والمرج وخلط الحابل بالنابل . لا يمكن أن نسصدق أن لجسوء سلطات الاحتلال إلى حل الجيش العراقي ، وطرد مسوظفي السوزارات ، ودهسم البيوت ، وإذلال الرجال ، وهنك ستر النساء ، وترويع الناس كافة ، لا يمكن أن نصدق أن هذا لم يكن مقصوداً ليؤدي إلى التناتج التي تراهسا الآن لكي تبرر القصف والضرب ، من أعلى ومن أسفل ومن كل جانب ، والمزيد الذي يتوعد به رامسفيلد بوجهه الفرائكشتيني . أمريكا تخسرج أضغانها في العراق سادرة في القسوة والجنون ، تأملوا كم الإرهاب فسي المفردتين . "الصدمة" و"الترويع"! ولا بزال وجه بوش يطل علينا في ثقة المخابيل : " تحن في حرب دفاعية ... أنا أحمي الأمريكيين ... أنا أحرر العراق ... " ، يقول كل هذا بلساته والعالم ما زال يشهد النقيض الحاصل من الدمار والذبح والتخريب والاعتقالات وفرض سيطرة القهر والاستبداد والكاتاتورية ويكمل رامسفيلد : " ... مستمرون من دون توق ف حتسى القضاء على الإرهاب ... "! .

على الشعب الأمريكي أن يسقط بسوش وإدارته عن الحكم ويلبسهم قميص المجاتين الكتافي فوراً ، إذا كان لهذا الشعب أن يصون بلاده من دورة الدائرة القاصمة الآتية لا محالة إن عاجلاً أو أجلاً . وإذا كان نبينا عليه الصلاة والمعلام قد تهانا عن التمثيل بجثث الموتى قائلاً : "إياكم والمثلة وفو بالكلب العقور " ، فإن أبشع جرائم التمثيل هـو مسا تفعله أمريكا وحليفتها الصهيونية في القيم الإنسانية وحقوق البشر فـي الكرامة ، بالإضافة إلى عمليات الاغتيالات التي تنثر أشلاء الضحايا مسن

عُمان كنفاني إلى أحمد ياسين ، ومن محمد ياقر الحكيم وأصحابه إلى شهداء عاشوراء ١٤٢٥هـ .

هل لا يزال هناك من يعجب بـ " قوات الحضارة " الأمريكية ؟ داست قوات بوش كل ركن بالعراق ، متحف التاريخ والمحمية الثقافيـة التي لا يجوز أن تخدش أو يمسسها أحد بسوء ، يركلون الأبـواب فـي فظاظة وجهل ، ويعنون أسماء الخارجين على قانونهم . العوان إجراء شرعي ومقاومة أهل البلد غير شرعية ، تشابه بشع بين جنودهم وجنود الاحتلال الصهيوني تفلسطين ، فملة المجرمين واحدة .

على الشعب الأمريكي أن يعرف أن الشعب العراقي قد أفاق من "الصدمة " ويستعيد لميافته وتوازنه ليصد بنفسه ، وبلا هـوادة ، وجــه بوش ووجه صدام .

في سبتمبر ١٩٤٠ استطاع هتلر أن يبقر بطن أوروبا ويتوغسل في أحشائها يدعوى إفساح المجال الحيوي للشعب الألماتي للتغلب علسى الوضع الجغرافي المطوق لألماتيا ، وفي خلال فترة وجيزة التهم هتلسر : النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والدانيمارك والنرويج وبلجيكا وهوانسدا وفرنسا ، حطمت قواته باريس وهدت الجزر البريطانية وبدا هتلر كأنسه المنتصر ، لكن مقاومة الناس تصدت للعدوان والغرور الأحمسق ، وبعسد انتهاء الحرب عام ١٩٤٥ وسقوط هتلر ظل الأدب الغربي ، وظل الفن ، وظل الشعر والمسرح والسينما ، في البلاد التي ذاقت الويلات، تتحسدك

عن الوحشية الهتلرية وعن الخراب والعبث والجنون الذي انسحبت إليه المقارة الأوروبية منتصرة أو مظوية ، فكيف يسمح العالم ، وكيف يسمح الشعب الأمريكي لبوش ورامسقيلا ، ويقية العصلية الحمقاء ، أن يعودوا بنا إلى منطق السفاهة وكلمات الخيل .

منذ سنوات والعراق أسير "الوحش "صدام حسين ، وها هسي بقية الوحوش المفترسة تأتي من وراء البحار البعيدة تستلمظ الافتسراس " الجميلة " التي عليها الآن أن تقاوم الاغتصاب بأظافرها وأسنائها .

يتعاطفون مع السفاح ليشتهروا بالرحمة

" أعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعثل " ، هذه مقولة مشهورة ، لعل قاتلها هو المجاهد الوطني مصطفى كامل ، قفرت أملي تتلبس هؤلاء المتعاطفين مع بائع العراق ، الذي أحسل قومسه دار البوار ، المجرم صدام حسين ، مع تعديل مناسب : هؤلاء يتعاطفون مسع السفاح ليخدعوا الناس بالرحمة .

يتمسك صدام حسين بأنه "رئيس دولة "، كأنه قد حصل على المنصب شرعياً بالانتخاب والاختيار الحسر ، ويتسماعل : بأي قسانون المنصب شرعياً بالانتخاب والاختيار الحسر ، ويتسماعل : بأي قسانون المحاممة محمد باقر الصدر وشقيقته آمنة بئت الهدى ، والآلاف غيرهما من العلماء والمجتهدين والأبرياء ، من دون أن تطسرف لمه عين أو يستشعر وخزة ضمير يتساعل عن حق إنسان متهم ، بالظن ، في ادعاء ودفاع وقضاء واستئناف ونقض ، بل لم يخطر على بالله حين قتل سسيده ومسئوله و"رئيس دولته " أحمد حسن البكر ، ثم مشى في جنازتهه ،

وحين أطاح برقاب رفاقه في ضرية "سيف " واحدة ، بعد أن قرر ، هــو وحده ، أنهم خونه والخائن - كما أفتى - " ما له عندنا إلا السعيف " ، وحين لم يتح الفرصة لرافع بده برجاء كلمة واحدة تنقذ عنقه ، زاعقاً فيه ، " إطلااااع " ، كأنه كان عبداً من عبيده توارثه عن أجداده . تسذيع الفضائيات لقطات من وثائق مسجلة لجولات حضرة " رئيس الدولية " يستوقف فيها المواطنين ، يكلمهم من شباك سيارته الفارهـة الأمـامي وزوجة ساجدة ، يشعرها الأصفر المصبوغ ، في المقعد الخلفي شاهدة وهو يلقى محاضرته : " هذا دماغ لابد يكون به مخ " ، برتعد الرجيل المتوقف أمامه ويهز رأسه: " تمام سيدى " ، ويواصل حضرة " رئيس الدولة " السائل الآن عن القانون والمحامى ، " ما يكفى تهز رأسك ، لازم تفتهم "! يتكلم يعنجهية وعجرفة متحكم فظ في ملجأ للقطاء ، يعرف أنه ما من أحد هناك يحاسبه ، لا أب ولا أم ولا أهل ولا عشيرة ولا حق ولا قانون ، شعب بأكمله مخطوف ومكبل ومكمم ومحبوس - رهينة - فسي سراديب وأتفاق وأقبية من كل شكل وتوع ، حتى أقرب المقربين غير آمن ، حتى أشرس كلايه المتوحشة ، لا تعرف منى يميتها السمم والرصاص والإذابة . يتبجح "أسير الحرب " ، ناعناً بسوش بسالمجرم ، كأنه لم يتقدم بطلب - تم رفضه من هيئة حقوق الإنسان - ليظل عليد " بوش " أسيراً ولا يتم تسليمه للعراقيين . ألم يكن الأجدر به أن يفرح بانتقاله من أيدى المحتل الأمريكي " الغاصب " ليكون في حضاتة أهله ؟ لكن متى كان صدام حسين عراقياً منتمياً إلى أهلبه ، خاتفساً عليهم ، حريصاً على دماتهم ، حارساً لأعراضهم ، مدافعاً عن حياضسهم لمظلة القصف والدك والدهس بأحذية المحتل الذي انتهك سيادة الوطن ؟ متى ؟ يسأل عن حق في " الكويت " ولم يعرف كيف يحمي " بغداد " ، ولا يخجل مع ذلك أن يصر على أنه "رئيس دولة" العراق ! ألا تكفيه جريمة تمكينه الأعداء من احتلال البلاد ليستحق بها الإعدام ألف مرة ؟

يتألم واحد من المتعاطفين مع السفاح لأن " القاضعي " صحفير السن . ما عمر القاضي؟ في عشرينياته ؟ في ثلاثينياته ؟ في أربعينياته ؟ وكم كان عمر صدام عندما تربع قاضياً على العراق ، سارقاً أمواله ، ساحباً غطاءه البنكي من الذهب والدولارات ليكدسها في حاويات وزكائب مليارات معارات تحت يده تعمهل له الإضعاد ، والإتفاق على مسن يسشاء وكيفما شاء وفقاً لأهوائه ونزواته التي لم تحقق له شبعاً ؟

وكم كان عمر " عدي " و " قصي " عندما تسلطا على أنفساس الناس يقطعون الآذان والألسن والأيدي وما هو أفدح ؟

ثم من أين تأتي المحكمة بقاض عراقسي تعدي الخمسين أو السنين أو السبعين بعد سنوات حكم صدامية لم تأل جهداً في السعي لإبادة الحكماء والعلماء والمفكرين ورجال القسانون وأساطينهم ، بالهدر والتسفيه وبالتهميش ويالنقي ، إن لم يكن بالقتل وبالسكتات الدماغية ؟

وما هو هذا المنطق الأعرج المتريص بكل ناطق بالحق ، يرميه إذا أشار إلى جرائم صدام كأنه يختار جرائم بوش ، وإذا ندد بجرائم بوش كأنه يعقو عن جرائم صدام ، فكأنه من المحتم أن نظل نختار بين البول والبراز إذا شننا الخلاص من أيهما ، وهما أنجس من بعضهما البعض .

لو كان هناك اختلاف أو تناقض بين المجرمين صدام وبوش ، بين الاحتلال بلون الأرضية والاحتلال الأجنبي السافر ، لما أسبغ بوش على صدام لقب " أسير حرب " ، ولما استغاث صدام بحقوق الإنسان لكي يظل بأيدي المحتل الأمريكي ، ولما تمكنت ابنته رغد من التزين والابتسام لعدسات التصوير ، بخلفية بيتها صاخب الثراء الذي تسميه " بسسيطا " ، وهي تحكي عن " حقوق " الوالد بصفته " رئيس دولة " يرى أن " فرجه قريب " ! .

إن الذين يتعاطفون اليوم مع "آلام "صدام ، لحظة قصاص الله بهوانه وإذلاله ، يظلمون "آلام " الشعب العراقي ظلماً جارحاً لا شاعاء منه ، ويغمطون حقها في أن ترى نهاية عادلة لسفاح مستبد لم يرع في أبناء وطنه إلا ولا دّمة ، وينتزعون من الضحايا وأهلهم وعداً مسن الله سبحاته وتعالى بأن يشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . إنها نيست الشماتة ، لكنه " القصاص " ، والعبرة ، وليتعظ من له " دماغ بسه مخ " بحكاية قارون المغرور الجبار ، الذي كان من قوم موسى فيغى عليهم وأشاع الفساد في الأرض ، واغتر به من يريدون الحياة السدنيا ، عليهم وأشاع الفساد في الأرض ، واغتر به من يريدون الحياة السدنيا ،

كلما خرج في زينته ، وتمنوا مثل ما أوتي ، وفي سورة القصص يأتي قول الله سيحاته وتعالى في الآيتين الكريمتين ، ٨١ و ٨١ ، ليرينا عاقبة المتكبرين : "فضيفنا به ويداره الأرض قما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، لولا أن مسن الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يقلح الكافون " . صسدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين .

حاكموا صدام بقانون صدام أ

لابد أن بحاكم كل طاغية بقاتونه ، الجزاء من جنس العمل . لابد أن يحاكم صدام حسين بقاتون صدام حسين . هدذه اللاقتسات المالعسة : "أسير حرب " ، " اتفاقية جنيف " ، "حقوق الإنسان" ، " لابد أن نثبت أتنا لسنا مثله ... " إلى آخره ، هذه لاقتات يدوسها الحكام بالأقدام فوراً حين يهب الشعب المظلوم للدفاع عن حقوقه ، أبسط حقوقه : الماء والغذاء والكساء ،عندها لا نرى حقوقاً للإنسان ولا نرى أياً من هدذه اللاقتسات لصالح الشعب . الحاكمون الجدد في العراق يعنون ضرورة عودة عقوبة " الإعدام " ، يا سلام ؟ هل كانت قد الغيت ؟ هؤلاء القتلى اليوميين مسن الناس ، ماتوا تكريماً ؟ ما هي " العقوية " إذن ، وما هو " الإعدام " ؟ .

لا تحمد السيدة رخد صدام حسين ربها على بقائها "حرة " تملك ما أعطاه لها " الوالد " ، ساعة غــزو الــبلاد حــين أرســلت السيارات " المؤمنة " لتهريبها هي وأمها السيدة سلجدة وشـــقبقاتها ، لا تحمد ربها أن السيد الوالد لم يقكر سوى في إنقلة عائلته والبلاد تدوسها

أقدام الغزاة ، لا تحمد ربها في أنها أفلتت هي وأمها من الوقسوف أمسام محكمة شعبية ، مدانتين بتهم الاتفاق الضمني مع الطاغية لسلب العراق ماله وأرصدته وآثاره وإذلال أهله واستباحة حرماته . ألم تكن تعسرف رغد وأمها ساجدة ما استطاع أي زائر عابر بالعراق أن يعرفه عن آلام أهل أرض " النازفين " ؟ يا سلام يا ست رغد ، يا خليفة والدك المسكين أسير الحرب الذي تريدين أن تسساعدينه بكسل مسا تملكسين بمحسامين " أمريكيين " لأنهم : " يمكن أن يكونوا أكثر منفعة من محامييهما المذين يثيرون الضجيج ... " ، كما أفانت حضرتها في حديثها مسع المصحفية " دافني باراك " المنشور بالشرق الأوسط ٣ / ٨ / ٢٠٠٤ - إذن فأنت با ست رغد تعرفين " المساعدة " ، و " بكل ما تملكين " ، ماذا تملكسين يا رغد ومن أين لك هذا؟ ، وتريدين محامياً " أمريكياً " طبعا جيد التوصيل لتوسلاتك ليتمكن والدك من الإفلات من العقب البذي يسستحقه ، وأي عقاب يمكن أن يكون كافياً وشافياً وحقاً وعدلاً لهذا الذي أهلك الحسرت والنسل وأتى بجراد الغزاة يكملون مسيرته في التهام الأخضر والبابس في أرض " النازفين " . أصابتك يا رغد الهيستريا بسبب القلسق علسي الوالد، أسير الحرب في الزنزانة المكيفة ، تعرفين إنن "القلق" يا رغد ؟ ألم يناوشك القلق على أهل بلاك يوم كانت الرصاصة بالدماغ أسرع من الصفعات ؟ ويوم ... ويوم ... ؟ السشابة السسادية الأمريكيسة " اتجلاد " تقدم للمحاكمة الأنها أهاتت رجالاً عراقيين ومثلت بجشتهم ، ليسوا من جنسها ولا من ملتها ولا من بقية أهلها، لماذا لا تفرحين أنك

ووالدتك ساجدة ويقية عائلتك لم تؤخذوا مثلها للمساعلة عن الصمت الإجرامي الذي كان دثاركم يوم هتك عدى وقصى أعبراض العراقيات والعراقيين ، بل يوم أطيح برأس زوجك وعائلته رغم خدمات الإجرام العديدة التي قدموها لو الدك و أخويك ؟ هل "الحلالد" أكثر احراماً منك ومن والدتك ويقية أهلك ؟ ترعمين أن لديك " كبرياء " ؟ ما شاء الله ، أبعد كل هذا الهوان للوطن والأهل والعشيرة وما زلت تملكين "كبرياء "؟ تفخرين " أنا ابنة صدام وأمي زوجة صدام . أطفائي أحفاد صدام ... هو في حاجة إلى بعد موت أخوى ... " ، ممتاز ، إذن عليك أن تفهمي أنسك وأمك وأطفالك قد هريتم من العقوية المستحقة عن هذا الانتماء . تندبين حقيقة أنك وأو لانك الآن " بلا وطن " ، مع أنك ما زلت تعيشين في " الوطن العربي " ، ماذا عن الذين شردهم أبوك و " أركان نظامه " علم مساحة الكرة الأرضية من القطب الشمالي حتى الجنوبي . لا يعنيني كيف فرض أبوك الحرب على إيران وكيف غزا الكويت ، فإيران كانب تملك قدرات الدفاع ، والكويت عرفت لمن تلجأ ، الذي يعنيني ، من البداية إلى النهاية هو ذلك الشعب العراقي الذي اختطفه أبوك ، وأركان نظاميه ، ووضع السكين على نحره يذبحه في الدقيقة ألف مسرة ، والكساميرات لا تصور سوى التصفيق والتأبيد والركوع والسجود للجبار المفتون ، ومسا من النقاته للشعب الرهين الذي قطع لساته وصودرت إمدادات دفاعيه. تخيلي يا ست رغد لو كنت ابنة " مخلوع " من " الرئاسة " وكان "صــدام حسين" هو " الخالع " ، لا "المخلوع" ، ماذا يمكن أن يفعله بك " قاتون "

صدام حسين " . هل كان من المحتمل ، والو صفر في المليون ، أن تكون الديك شكوى بسبب عدم السماح لك بزيارة في " زنزانته المكيفة " ؟ هـل شمة بند في قانون صدام حسين كان نصه : " حق المواطن فـي زيـارة سجين له " ، ناهيك عن رئيس مخلوع ؟ لماذا لم يعامل صـدام حسين بقانون صدام حسين ، يطبق عليه قانونه "بحذافيره" نعـم " حـذافيره " ، هذا هو " العدل " الذي ارتضاه صدام طيلة حكمه للشعب العراقي ، وهـو الأولى يه الآن !

صحيح صدق المثل القائل: "سكتنا له ، دخل بحماره"!

منصور رحباني وفن الخصومة مع الطغاة والغزاة

للفن الجميل سره الشافي من وجوم الأيام الصعبة ، وأضسيف : للفن الأصيل رؤيته الثاقبة التي تبدو أحياناً مثل النبوءة الصادقة .

منصور رحباتي الآن على مسشارف الثمانين ، حفظه الله ، وعندما ظهرت له "آخر أيام سقراط" ، كان فحي الرابعة والسبعين ، ولديه الوعي بسنوات مرت على منطقتنا العربية وعلى العالم بأسره ، لا تقل عن ، ٦ سنة ، بدايتها الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، وضياع فلسطين ١٩٤٨ ، وعدوان ١٩٥٦ ، وهزيمة ١٩٢٧ ، والحرب الأهلية المنطين ١٩٤٨ ، وعدوان ١٩٥٦ ، وهزيمة ١٩٢٧ ، والحرب الأهلية النبانية المدمرة وغير المعقولة ، ومسلمالات الخديعة السلامية ، إشر النصر الوحيد عام ١٩٧٧ ، وهيمنة النظم الدكتاتورية باسم مصالح الشعب ، وبخول أحلام التحرير الوطني والحرية والاستقلال والعدالية الإجتماعية تحت مطارق التعذيب والإهانة والطرد والقتل صراحة وغيلة حتى الإبلاة على طاولة السجون والمعتقلات الدوارة ، شم ، أخيراً ، الوقوع في يراثن الهيمنة الأمريكية ، دولة واحدة ، تدعى الديمقراطية ،

وتسعى لتحكم قبضتها على الأرض ، تقتيس وتعيد قسوة وجبروت كل مدارس إمبراطوريات الاحتلال والاغتصاب الحديثة والموغلة في القدم ، فالرائي لشاشة التاريخ يشاهد على ملامحها : التتسر والمغول وطغاة القرس والرومان ومجون مترفيها وتهتكهم ، رغم الدعائها أنها " نظام " عالمي جديد .

يغتار منصور رحياتي ، لمدخل مسرحيته القنائية : " آخر أيسام سقراط " ، لحظة تاريخية هي احتلال أسبارطة ، دولة الحرب والشراسة ، لاثينا ، وطن الفكرية في مواجهة الكذب والفساد والاستبداد والخزعبلات إلى المقاومة الفكرية في مواجهة الكذب والفساد والاستبداد والخزعبلات وعقائد الشرك والوثنية ، ونسمع سقراط يخاطب وطنه المحتل : "أثينا يا أثينا ، أنا أنا واللي مثلي عملناك يا أثينا ، جعلناك مدينة الفلسفة والحضارة ، أثينا ، تلوسلسيون شرشحوك ، خلو عسكر سبارطة المتوحش يدعس ترابك ..." وقبل تجرع السم ، في نهاية العرض تنفيذا لحكم الإعدام بحقسه ، يطسن إيمانه : " ... إله واحد خالق ها الكون ... " ، رافضاً لآلهسة : " تأكسل وتشرب ... آلهة تتجوز ... لأ ... " ، وهذا البعد الإيساني لشخصية " سقراط " ، يتعد " منصور رحباني " توضيحه ، مع تمتمانه المسبحة في نصه المطبوع الحريصة على " بإذن الله " و " شكراً لله " ، مما يجعلنا نص بالعمل مرفوعاً بنية صلاة تدعو وتؤكد أن من هو : " رايح ع درب الحقيقة ، متوج بالاستشهاد ... " .

"سقراط" - القائد الفكري والروحسي للنساس - لا تحبيه أي سلطة، سواء كانت سلطة كريتباس" ، الحساكم الفرد عميل الاحتلال الأسبرطي ، أو " أنيتوس " ، زعيم الحزب السديمقراطي تسلجر الجلود وحارس مصالح الأغنياء على حسلب حقوق الشعب الققير . " سقراط " ، الواقف بين الناس في خندق الحق ، في خصومة مع الطفاة والغزاة ، هو الذي ترميه التلفيقات بالتهم: "سقراط إنت اللي نخت سبارطة ، إنت اللي زعزعت الدين ، بسبب تعاليمك غضب الآلهة حل علينا ، لازم يتحاكم سقراط ... " ... المطلوبين حاكمين والشرفا محكومين ... " ...

قدم المخرج "مروان رحباني " الممثل " زياد سعيد " في دور الطاغية " كريتباس " ، عميل الاحتلال وسفاح شعبه ، ليتشابه في الحركة والإيماءة والصوت تشابها ، لا تخطله العين، مع توليفة مكونة من صدام حسين وابنه عدي -- (فلك إيان سطوة صدام وعدي ، يما يؤكد أنه كان هناك من استشعر آلام الشعب العراقي وتصدي لمعذبيه بالإدانة من دون خوف أو تريد) -- وينشد الكورس ، بلسان منصور رحباني : " حكم كريتياس بسيف سبارطة حكم ، مشي نهر الرعب بأثينا ، كتب الشعر تلطخت بالدم ، طرقاتك يا أثينا أيدين وخناجر ، دايما حدا مارق ، ودايما خنجر ناظر ... " عقويات الإعدام وجبات يومية : " وسع الظلم ، انكسر العدل ، إسودي يا أثينا " . يقول " سقراط " للطاغية : " كريتياس ، هال بيحق لنا ناغي إنسان إذا كان رأيو بيخالف رأينا ؟ " ، ويرد السماع : "

لأجل الصالح العام ... " فيسائله "سقراط" : " هل فيه حكم صالح بيقرر يقتل ؟ " ويختصر الحاكم الجائر الحوار : " ... ما حدا يتعاطى بالسسياسة بيعيش مرتاح ! " وحين يطلب " كريتياس " من سقراط أن ينضم إليه ، يولجهه " سقراط " شو قضيتكم إنتو وحزيك غير التنكيل بالناس ؟ " لذلك يصدر الأمر من "كريتياس" بمنع "سقراط" من الكلام : " اعتباراً من اليوم ممنوعة التجمعات ، ممنوعة التظاهرات والتعليم بالساحات ، في حسبس واعتقالات ! " ولا يتراجع " سقراط" ، المرجع الفكري والروحي للناس ، " علينا أن نمتلك الجرأة لنعلن عن ألكارنا ونجعها مطابقة لأفعالنا... الناس أغلى من الحكم " .

"أفلاطون" ، من تلاميذ " سقراط" ، يحكي عن جمهورية الفاضلة : " ويالجمهورية رؤساء الدولة مش لازم يمتلكوا فلوس ومسش لازم يتجوزوا ، حتى قرايبهم وولادهم ما يستغلوا المسلطة ! " وتستمر الملامسات الكثيرة الساخرة عن فسلا الحكم والمحسوبيات وخسرق القوانين بالقوانين ، وقتل الشعب بدعوى مصلحته : " خلّي رجاليك ياكوستا يعدولي خيالات الناس ... مين اللي بيفكر يتمرد ، مسين معنى ومين علينا ". وتكون الإجابة : " بقيو اللي معنا وخلصوا اللي علينا .." أما مشكلة الفقر فيكون حلها بإبادة الفقراء : " ... الغي الفقسرا بتلغسي الفقر ! "

وحين يذهب الحاكم القدرد ، يأتي الديمقراطيون بسلطة ، مستظة: " ... إجت الديمقراطية ما تغير علينا شدى ... "، وتستمر المواجع نفساً لا ينقطع يشهق به عرض "آخر أيام سقراط" ويزفر حتى تصل ذروته في المحاكمة وقرارها بإعدام "سقراط" بتجرع السم ، وقد رفض الاسترحام : " عيب ع العدالة نلتمسها لشفقة ... يا قصضاة ، أنا عارف إني جاي ع الموت ، لا تترقبوا مني موقف ما بينسجم مع واجبي الأخلاقي والديني ... " وتصرخ زوجته : " ... كل واحد بنقول عنه بطل مصلح قتل من شعبه ميت مرة أكثر مما قتلوا المحتلين " .

يرفض " سقراط " فرصة الهرب ويولجه المسوت : " اتفتصت أبواب الليل ، والموت قصيدة ، اعطوني يا حراس الكاس ، كتار بيحملوا الشعارات وقلال المكرسين .. "

حين يشرب كأس السم تقع عصاه ويجمد "سـقراط " ، رسـز المقاومة الفكرية والروحية ، واقفا حتى يقيب صاعداً مرتفعاً إلى أعلى ، والجميع ينشد في قصيد شعري موسيقي غنائي مشحون : " يـا بـواب الدهر تعلّي ، ارتفعي يا مداخل ، يا غيم الأبيض صلّي ، غطي الهباكـل ، اللي راكع بدو يعلي ، والطاغي بدو ينذل ... يا صيف يا شتا ويا أعياد... الرب ع درب الحقيقة ، متوج بالاستشهاد " .

أحببت أن أنعش الذاكرة بهذا العمل المسرحي الفذ ، الذي جسد وظيفة الفن الضرورية والراقية ، التي لا تلمس الجراح بالزاعق الحارق،

أو الثقيل الكاتم للتنفس والمهيج للإنهاب النازف للدم والقيح . وأحببت أن أسجل لمنصور رحباني رؤيته الثاقبة التي جاءت مثل نبوءة صادقة ، حققتها أمامنا هذه " الأيام " !

من هم (الأجانب) ومن هم (أهل الدار) ؟

الطغاة يجلبون الغزاة ، والغزاة لا يرعون في بلد إلا ولا نمسة ، فهم ، متى دخلوا قرية أفسدوها وجعلوها أعزة أهلها أذلة . إن ما يحدث في العراق ، من بداية النجف الأشرف حتى الفلوجة الباسلة ، مروراً من البصرة في الجنوب حتى الموصل في الشمال ، أشياء فوق قدرة تحمل أي جهاز عصبي سوي آدمي بشري إنساني . والمقولات الملفقة التي تدعى فرحة البعض بـ " بسالة جند التحرير الأمريكي " كمذب وافتراء وتلفيق وضيع فيج ورخيص . لقد أدمى صدام حسين الحراق بمجازر " حلبجة " والمقابر الجماعية والهتك والطرد والتشريد ، وجاء حلفاؤه من " علبجة " ، وكمل طرقاتها بعده يكملون مشواره بجعل كل مدن العراق " حلبجة " ، وكمل طرقاتها مقابر وكل برامجها اليومية هتكا وطردا وتشريداً وجرائم ضد إنسانية أي أيسان يدب بقدميه على هذه الكرة الأرضية . لا يخجل متحدث أمريكي من التصريح بأنهم عشروا على " أجانب " يساندون مقاومة أهل الفالوجة ، من التصريح بأنهم عشروا على " أجانب " يساندون مقاومة أهل الفالوجة ، وذك المنافلاء أما حضرات العصميكر الأمريكي وقدوات هؤلاء هم " الأجانب" المخبين من أقطار عربية وإسلامية مختلفة .

التحالف متعددة الجنسيات فهم "أهل الدار" الأقحاح وأصحاب السشرعية التي تخول لهم البرطعة من جنوب العراق إلى شماله ، ومن شرقه إلى غربه بالمجنززات والمروحيات والقنابل المحرقة والأسلحة الفتاكة ، ولم لا ؟ اليسوا هم أصحاب القوة والمنطق القادر على جعل المقاومة مرادفة للإرهاب ، والدفاع عن النقس والحرمات مرادفا للاتفلات الأمنى ؟

هل ينتقم إياد علاوي من أهله لأن صدام حسين قتل أمام عينيه، أفرادا من عائلته ؟ هل هي مسألة ثارات شخصية ؟ أم أنسه واحد مسن الذين تشربوا منهج الممارسات البعثية الصدامية الوحشية فلا يرى بأسا من التحريض على إذلال بلاده وأبناء الوطن والدين والعثيرة؟ مسا هذا الذي تباركه من قتل وتدمير وتتكيل على أرض العراق يا سيد عالوي ، وأنت يا حضرة الياور ، وأنتم يا عربان الحي ؟ ألا تخافون غضب الله ؟ هل هذا الذي يحدث لملاطفال والنساء والرجال والبيوت والحرمات من قبل الجراد الأمريكي ، هو الدواء النلجع لترشيد الإنعان الأمني ، وتسرويض الفوضى ، ونشر الطمأنينة حتى يأمن المواطن الخطف والقتل والسذبح ؟ هل بتعفن الأجساد في الطرقات والبطلاق الوباء يتكبل الخطفون ؟

تحارب أمريكا ، ولا تعدم من يؤيدها من العسرب والمسلمين ، أهلنا ، وطنا وطنا وتعيث الفساد في أرضنا ، بلداً بلسداً ، تحست الاقساد في أرضنا ، بلداً بلسداً ، تحست الاقتصاد واضحة التزوير ، تارة بحجة " مكافحة الإرهاب " وتارة " أسلحة دمسار شامل " ، وتارة " إسقاط نظام فاسد " ، فما هسو النظام السذى تحميسه

أمريكا؟ أليس هو النظام الصهيوني السفاح الذي يغتصب أرضاً لا ينتمي إليها ، ويغير هويتها ، ولغتها ، وعقائدها ، بالقوة سالقوة سالقة ق والترويع والاغتيالات المعلنة ، المفتخر باتجازها ، وتدخل هذه الترسانة العسكرية الإرهابية في حلقات مناقشة: "طرق مقاومة الإرهاب العالمي" لتدافع عن أفراد عصابتها بصفتهم: "مدنيين أبرياء"، وأهلنا في فيرار يعدون كغزال تتبعه كل كلاب الصيد ، هربا من ترسانة أمريكية بوشمية رامسفالدية مصاصة للدماء ، تمخر البحار والمحيطات وتعبر بصواريخها أرض العرب والمسلمين ، تقتل من تريد بتهمة إيواء الإرهاب ، فهل هناك "إيواء للإرهاب" أكثر من إيواء الإدارة الأمريكية ، علي طول تاريخها ، لإرهاب الكيان الصهيوني ؟ وهل هناك قرار إرهابي أخطر من إعلان أجهزة المباحث والمخابرات الأمريكية ، إعادة العمل بقانون الاغتبالات ، ومن يفتح فمه ليتكلم عن "مــؤامرة" صــهيونية ، بــصفعه التحضير للقانون القادم " معاداة السامية " ؟ ما معنيي " قيانون " و"اغتيالات"؟ ما هذا الربط العجيب ؟ ما هذا النصب والاحتيال والكذب الصارخ والاستهانة الوقحة بالمنطق ، الذي تقف إلى جواره يعص الأصوات العربية والإسلامية بدعوى دعمها لمكافحة الإرهاب؟

كل حرب عالمية قذرة ، لم تتوان عن اختراع الأفتة نبيلة ترقعها لتبرر عدوانها على البشرية بأسلحة الدمار الشامل ، تحت علم الدفاع عن " الحرية " و " الديمقراطية " و " ضد الفاشية " و " ضد التازية " و " من أجل سعادة البشر وإطعام الكادين " . واتختت الحرب الأهلية الأمريكية

الضروس شعار " تحرير العبيد " ، ووصل المحلون فيما بعد إلى حقيقة أنها لم تكن سوى نريعة اقتصادية لسيطرة ولايات الشمال الأمريكية على ولايات الجنوب . هذا الكلام نقوله لندلل أنه لسو كانست هدف " الهبسة " الأمريكية البوشية ضد " الإرهاب " حقا لما نزايدت ممارسات الإرهاب الصهيوني تحت مظلتها وتصاعت خلال الأعوام الأربعة الماضية في السهيوني تحت مظلتها وتصاعت خلال الأعوام الأربعة الماضية في الارة بوش ، والمنتظر أن تركب أعلى ما في خيلها خلال فترة رئاسسته هذه البادئة بعد فوزه في "عار" الانتخابات الأمريكية ، ولما شاهدنا على شاشات الفضائيات ما استطاع مصوروها من رصده لأبسشع أشكال الممارسات الإرهابية الفظة التي يقوم بها حالياً جند وعسكر قوات الاحتلال الأمريكي تنفيذاً لتوجيهات رامسقيلد المشرف المباشر على سحق مديئة القلوجة الشهيدة الشاهدة .

حين قال بوش ، منذ سنوات ، " إنها حرب صليبية " ، لم يكن مخطئاً ، هو يعرف تماماً " أنها حرب صليبية " ، وقد عقد العزم على أن يجوس خلال ديارتا بهذه الصفة : " قائد صليبي " يردد " ها قد عدتا يسا صلاح الدين " ، فلماذا يا عريان الحي لا تصدقون الرجل ؟

ماذا قال نجيب سرور في ملك الشحاتين ؟

في الموسم المسرحي ١٩٧٠ / ١٩٧١ قدم مسسرح البالون بالقاهرة عرض مسرحية نجيب سرور "ملك الشحاتين" ، بإخراج جسلال الشرقاوي . ورغم التشابه الظاهري بين نص نجيب سسرور ، ونسص "أوبرا الثلاث بنسات "لبريخت ، التي أخذها عسن مسسرحية إنجليزيسة قديمة إسمها "أوبرا الشحاتين "لجون جاي ، إلا أن مسسرحية نجيب سرور تختلف عنها اختلافاً بينا، في مسسر الحدوقة ، وقسي عسرض وتوظيف الشخصيات الأساسية للمسرحية ، وفي مدلولات الحوار السائد ، وإيحاءات المونولوجات الشعرية ، ثم في المضمون النهائي للعمل السذي أراد المولف ثنا أن تخرج به .

في مسرحيته ، " آه با لبل يا قمر " ، يحدد نجيب سرور مسا تعنيه شخصية "الإنجليزي" في مسرحه حين يقول أحد أبطاله : " اللي ياكل حقنا يبقى إنجليزي ، حتى لو كان دمه مصري . " الإنجليزي " في تاريخنا المصري الحديث كان هو المحتل الباغي ، الذي يمارس سلب الرزق وسلطة القهر بالظلم والعدوان ، ومن ثمّ ، فحيثما ظهرت دلائل وأفعال السطورة والظلم ، واتحدت الأهداف والمصلحة مسع المحتسل ، لا تعود الملامح القومية سوى مجرد أقنعة للعدو المذى مسا فتسئ يسمعي ويتخفى ليتمكن من محاصرة الشعوب المكافحة وقهرها من بين صفوفها ومن داخل جسمها . الحاكم الدكتاتور الطاغية ، والإقطاعي ، والخالان ، والعميل ، كلهم لهم عند تجيب سرور مرادف " إنجليزي " بمعنى المحتل ، العدى ، القوة الأجنبية الغازية . ويتأكد ننا هذا التحديد لـــ " الإنجليــز ي " عند نجيب سرور حين يضع في نصه " ملك الشحاتين " شخصية "جورج" الإنجليزي ، الذي يكسب من وراء فساد قطبي المسرحية " أبو دراع ملك الشحاتين " و"أبو مطوة زعيم الحرامية" . " أبو دراع " و" أبسو مطسوة " مركزاً قوة - من أهل البلاد - يتصارعان حول المنفعة الذاتية والتسلط، المستمد على الدوام من مسائدة " جورج " المحتل ، وهما يذلك ، لأنهمسا من أولاد البلد ، أصبحا تابعين لجورج : بنفذان أغراضه ، ويلذ له اللهو واللعب بهما مع الاستفادة المستمرة من وراء رغبة كل منهما الإطاحـة بالآخر والانتصار عليه ولو بالتنافس في دفع الرشاوي السخية للسبيد " جورج " .

نعرف أن " أبو دراع " يبني مملكته بالاستغلال السذي يمارسه بتجارة الفقر ، ونعرف أن " أبو مطوة " يحكم سسيطرته بالرعب السذي يشيعه . ويصبح النزاع بين " الاستغلال " و "الرعب" وأيهما يظفر بالمعلمة على البشر ، والحكم في هذا النزاع هو " جسورج " السذي يسرجح أحسد الجانبين وفقا لكمية ما يقبضه منهما ، وهكذا يكون من المنطقي أن تعلو

الصرخة الثائرة في وجه " الرعب " و " الاستغلال " و " المحتل " ، هؤلاء " الإنجليز " جميعاً : " لحد إمتى ح يفضلوا المساجين مصريين والسجانة إنجليز ؟ " .

يقدم نجيب سرور شخصيتي "أيو دراع "و "أبو مطوة "، تقديماً مركباً: " كلاهما يلعب شخصيته الفاسدة ، ويدينها في الوقت نقسه ويقوم بدور " المرشد " عن فساده و "المنبه" الموضح الأوجه التلاعب في منطقه الملتوى وطبيته الكانية المخادعة . غير أتنا نجد أن المؤلف اختص " أبو مطوة " - زعيم الحرامية - يتوظيف إضافي فيعطيه أحيانا " لساته " واحتجاجه ، فنجد " لأبو مطوة " مونولوجاته المفعمة بالسسخط والثورة على الفساد والرعب ، المتسبب هو شخصياً بجزء مباشر فيه ، إلى أن يصل ، بعد كلمات مندافعة متضارية هستيرية ومنفعلة ومتهكمــة تبنى ، بتراكمها المهوش والمشوش عن عمد ، حالة ألم محض نحسمه غائراً في القلب . بين قطبي النزاع " أبو دراع " و " أبو مطوة " هنساك " ألماظ " ، ابنة الأول التي خطفها الثاني ليتزوجها . " ألماظ " ابنة " الاستغلال " وحبيبة " الرعب " ، لكنها مع ذلك هي عند المؤلف خبط التحول إلى الأمل ، كيف يكون ذلك ؟ لو أننا نظرنا إلى " أبو دراع / الاستغلال " لوجدنا أنه قرين " الغيبوية " فزوجته " نفوسه " لا تفيق مـن الخمر ، وهي كذلك طرف في شركة المتجارة في الرقيسق الأبسيض مسع " لواحظ " صاحبة بيت للدعارة والزوجة الأولى لــ "أبو مطوة / الرعب".

فتصبح الدائرة المتحدة ، كما تسمورها المسمرحية ، هكذا : "الاستغلال " ، " الغيبوية أو فقدان الوعي " ، " الدعارة " ، " الرعب " : هي أصابع " جورج / الاحتلال " المكتملة المطبقة على عنق السشعب المسجون . حين تتجانب الأحداث " ألماظ " وترى حدة التناحر بين والدها وزوجها تكتشف رويداً رويداً أطراف الدائرة وترى بوضوح يقظ أن قبضة " جورج " القوية الضاغطة على عنق بلادها ، ليسست سسوى تجميسع للأصابع المنحرفة من أهلها ، وتعلو أغنية المساجين لتملأ أذني " ألماظ " بالوعي والتطهير المتعاظم : " يا حبسة الزنازين ، يا ليل يا عسين ، يا بالوعي والتطهير المتعاظم : " يا حبسة الزنازين ، يا ليل يا عسين ، يا الدم ، هي استغماية ولا دي الستلات ورقسات ؟ " . ويكسون متوقعاً أن الدم ، هي استغماية ولا دي الستلات ورقسات ؟ " . ويكسون متوقعاً أن شعارها : " البادي بالعدوان ظالم ، والظلم بالعدوان بسادي ، والمظلسوم شعارها : " البادي بالعدوان ظالم ، والظلم لو سائم ، أو سلّم وما خدش التار " . وحين يعود النزاع بين "أبسو أظلم لو سائم ، أو سلّم وما خدش التار " . وحين يعود النزاع بين "أبسو دراع" !

يا أهل ودِّي ساعدوني

لم أعد أفهم شيئاً "من "أو " في " أو " عن " العراق العزيسز . أنا ما زلت أذكر كلمة قالها جبرا ابرهيم جبرا لي في بيته على الغداء عند وصولي إلى بغداد سبتمبر ١٩٧٥ ، قال: "صار لي سنوات بالعراق ولم أفهمه ... "ثم ضحك وقال : " لا تحاولي .. " لكنني حاولت ، وعلى مدى أقهمه ... " ثم ضحك وقال : " لا تحاولي .. " لكنني حاولت ، وعلى مدى تصورت أنني أحسست العراق أكثر مما قهمته ، وقلت أن " الإحساس " تصورت أنني أحسست العراق أكثر مما قهمته ، وقلت أن " الإحساس " بالضرورة . والذي يجلب " الفهم " لا يعطي " الإحساس " بالضرورة . والذي عولية من " الإحساس " أن هناك بالعراق شعباً واحداً هويته الأولسي " عراقي " ، ضفيرة منسوجة من أمة الإسلام وأمة العسرب ، خيوطها ملمومة من أقدم الأعراق وأصل العرائق ، فليس هناك عرق إنساني لسم يدخل في تركيبة العراق ، وليس هناك عقيدة إيمانية لم يحملها في قلبه ، وكنت أرى أن هذا ما يعطيه التماسك ويحميه من الفرقسة والتفسرق والتحرب والتعتصر والطافية وليس العكس . كنت أدخل أحاضر طالبسي

وأقرأ أسسماءهم ، أمثسال " سساوة " ، و" بساكيزة " ، و " رونساك " ، و " هيفاء " ، و " الألوسي " ... إلخ ولم أعرف أبدأ ، ولسم أحساول أن أعرف ، وقاومت أن أعرف ، الصابئي من الأنوري مسن الكلسدائي مسن الكردي من السني من الشيعي من الرعية العثمانية أو الذي مسن أصسل التبعية الإيرانية ، كنت أراهم كلهم سمة واحدة ، وسحنة واحدة ، مزايسا واحدة ، وعيوباً واحدة ، يعتزون بها أيما اعتزاز !

عندما كاتوا أحياتاً يفصحون عن خلفياتهم التي "أصلها "من هنا أو هناك ، كنت أقول " يا جماعة كل هذه الأعراق والأصول عندنا مثلها في مصر ، لكنها تنوب فوراً خلال أقل من جيل ، ولو تأملتم لسدينا عائلات بألقاب " الكردى " و" الشيرازي " و " الأصفهاني " و "الكريتلي" و"الصفلي" و"العجمي" ، و"العربي" و"التونسي" و"العراقسي" و"الحجمازي" و"النجدى" و"المكي" و"السنوسي" بل و"الصيني" و"الهندى" ، وكان الدينا مقرئ للقرآن الكريم اسمه " منصور الشامي السدمنهوري" ، السي آخسر الأثقاب التي تنم عن وافدين من كل أصقاع الأرض جاءوا إلى أرض الكنائة ، ثم أصبح الجميع مصرياً ، برتفع منهم من برتفع إلى المناصب والمستوليات والشهرة الأدبية والثقافية والاجتماعية يمصفتهم الوحيدة " مصرى " ، ولمو كان لقيه يشي بأصل و أقد ، صحيح بمكن أن يقال بشكل عابر: " هو من أصل كذا " ، لكن كذا لا تعدو كلمة تقسال مسن دون أن تترك أثرا يؤدى إلى حكايات التقسيم والموازنات بين مـواطن وآخـر، وحينما يريد من يريد أن يختلق تقسيماً منحطا مثل " مسلم ومسيحى " يوقف عند حدّه بحزم ، وغالباً ما يكون الاختلاق متدفوعاً من عدو خارجي نقول عنه أنه " يبتغي الفتتة " . وكنت أقول لماذا يظل النازح عندكم مطارداً بأصله وفصله ولو ظل بالعراق ألف سنة ولو ظل يقسم أنه عراقي ابن عراقي ؟ أظل أمزح وأقول : إن العراقي لا يحتاج إلى تحليسل الحامض النووى - (الذي إن إيه) - الأنبات عراقيته ، يكفى أن تسضع أمامه ذلك الشلغم المسلوق المنقوع في الدبس - (عسل البلح) - فاذا استساغه فهو عراقي ابن حلال مصفى ، وأراهن أن يتحمل هذه الوجيسة الممتعة للعراقي أي إنسان آخر ولو كان من المغامرين ، وإسألوني أنا عندما خرجت ذات مرة من باب جامعة المستنصرية ووجدت تلك العربــة التي يتصاعد من ماعونها البخار ، يلتف حولها ، على ركن الطريق ، الطلاب من كل حسب الجامعة وصوبها ، يأكلون ما عليها بشغف وتلذذ ، وقفت بينهم : ماذا تأكلون يا شباب ؟ قالوا : شلغم منقوع في السديس ، قلت : لذيذ ؟ قالوا : كلُّش طيب ! تصورته مثل حلاوة البطاطا المـشوية في مصر أو مثل الذرة المشوى على الفحم على شاطئ النيال ، هاجني الشوق فقلت : أجرب ، وما أن وضعت ذلك " الشلغم " - الذي هو اللفت المسلوق أبو عسل - على طرف اساتي حتى كسنت أروح فسي غيبويسة سكتة حلق أو دماغ أو قلب . ضحك الشباب : ست ست إيش بيش ؟ قلت في ضعف : " شلغم " !

من أجل ذلك لم ولا أفهم تلك التقسيمات التي تكونت أو تتكون منها الحكومة العراقية لم ولا أفهم إلحاق صفة رئيس العراقية به ونائيب " الكردي " ، ورئيس الوزراء بس " الشيعي " ، ونائب " سسني " ونائسب " شيعي " ، والله عيب ، كيف يوافق أهل العراق على هذه التقسيمات

وهو يطم - بحق " الشلغم أبو دبس " - أنه صلحب " هوية " لسبس لسه غيرها : " عراقي " ، ولو دفعته العواصف والزوابع إلى سكنى الإسكندنافية أو أي مجاهل على الكرة الأرضية من القطب إلى القطب !

المغول يكرِّمون جنكير خان ؟ وَلَمَ لا ؟

كتبت الزميلة عزة سامي ، في جريدة الأهرام 1 1 / 0 / ٢٠٠٥ ، تتعجب من أن رئيس وزراء منغوليا قد قال أن جنكيز خان "لم يكن حقاً الرجل الشرير " الذي أكنته كتب التاريخ ، وأن منغوليا منذ استقلالها عام ١٩٩٠ ، يعد الهيار الاتحاد السوفيتي ، تفكر جدياً في إحياء ذكراه بصفته " قائدها المغوار " الذي يستحق منها التكريم .

وتقول الزميلة في هذا السياق : " ... جنكيز خان الذي سعى في الأرض فساداً وعرف ببربريته التي لا قدرة لقائد أو زعيم تاريخي ، أيا كان دمويته ، القدرة عليها ... " ، إذن ما تعترض عليه الزميلة فقط هو "حجم " الدموية ، وليست " الدموية : في ذاتها ، وهذا ما لم يعجبني في اعتراضها ، فالإفساد والبربرية والدموية ، قلت أو كثرت جرم وظلم وحرام ، ومن قتل نفساً بغير حق فكأتما قتل الناس جميعاً ، وإذا كان زماننا زمنا يرفع فيه البعض صوته افتخاراً بفرعون وقورش والحجاج ، ويعظم نابليون بونايرت ، ويحتفي بمحمد على باشا ، الذي ذبح ضيوفه

من المماليك على مائدة طعامه وهم عزل بعد أن خلعوا أسلحتهم احتراماً لعهد الأمان ، ونجد في ذكرى مرور ٢٠٠ سنة على عهده الأسود ، من يبرر له جريمته الشنعاء ويعطيه الحق والعذر مع لقب باني مصر الحديثة التنويرية ، وإذا كان هناك من لا يزال يرى في صدام حسين وعبد الناصر إيجابيات تعوض جرائمهما ضد الإساتية وتخول لهما اغتيال كرامة الوطن والمواطنين وإهدار فرص النهضة والتحرر الحقيقي من ذل التبعية والجهل والفقر والمرض ، وتبرئهما من مسئولية ما نحن فيه من خضوع والجهل والفقر والمرض ، وتبرئهما من مسئولية ما نحن فيه من خضوع احتلال الهيمنة الأمريكية المتوحشة ، المتوغلة في حشايانا مثل الإيدز والسرطانات المفترسة ، التي ترى الظلم فينا عدلاً ، والاستباحة أمنا ، والانتهاكات أمانا ، ولا تقتا تذكرنا بأن شارون وإخوانه وأمته ، هم أبطال السلام وصناعه ، فلماذا لا يبرز وجه جنديز خان بطلاً مغواراً في أعين الهدوية ، ومعه قريبه هولاكو فوق البيعة ؟

لقد كان جنكيز خان ، ١٥٥٠ م - ١٢٧٧ م، وثنياً همجياً لم تهذبه عقيدة سماوية عليا ، ولم يدّع انتماء لأفكار حضارية حرّة ثورية ديمقراطية مدنية تنويرية حداثية إنسانية .. إلغ إلغ إلغ . لقد تربى جنكيز خان على قيم مجتمعه القبلي الجاهلي البربري ليكون وحشا كاسراً، يعلو قدره كلما أثبت قوة ساعده في البطش والسحق وسفك دماء من يعارضه أو يعترض طريقه . وعندما اجتاح ديار المسلمين منهياً دولة خوارزم الإسلامية الكبرى ، كان يسأل الناس ما هو دينكم وماذا "، يقول ؟ وعندما يممع منهم الإجابة : " ديننا الإسلام الذي هو كذا وكذا "،

يتلفت حوله ويرد متهكماً : " لا أرى أنكم تقيمون دينكم ، أنا نقمة ريكم عليكم ! " .

عندما كنت ، في العهد الساداتي ، معتقلة ظلماً في سجن القناطر النساء بناير ١٩٧٥، مأخوذة بقسوة من رضيعتي قبل القطام، سمحوا لنا باستعارة بعض الكتب من مكتبة السجن ووقع في يدى كتاب رائع عن جنكيز خان ، نسبت عنوانه واسم مؤلفه ، وهالتي ، أو عزاني، ما جاء فيه من تفاصيل عن السياسة التي اتبعها لينجز إبادته لأهل خوارزم وهو يجوس خلال ديارها ، إذ كاتت كل قرية تسمع أخبار المذابح التي تحدث في القرية الملاصقة ، تحكيها وتأسف لها لكنها كانت لا تفعل أكثر من مصمصة الشفاه وتعقد العزم على " حكمة " عدم المقاومة لتتحنب الإبادة حتى بأتى دورها فيفعل بها السفاح تماما مثلما فعل يجارتها السابقة من إفساد وقتل وذبح وهدم للمساجد وتدنيس للمصاحف... وهلم جرا ... إلى أن زهق من جهد القتل والإبادة بنفسه فقرر أن تتكفل كل قرية بقتل نفسها بنفسها ، فكان يدخل القرية ويستدعى سادتها وكبراءها وأعيانها ويطلب منهم إرشاده إلى كنوز القرية المخبوءة ثم يكلفهم بنبح أهلها فيسارع هؤلاء السادة والكبراء بالاستجابة ، ومن فورهم ينبحون أهل قريتهم بأيديهم مع التفنن والإتقان حتى يحظوا بإعجاب جنكيز خان ، متصورين أنهم بهذه الطاعة الفاسدة سوف ينجون من بطشه ، ولكنهم ما يكادون يفرغون من عملهم الإجرامي البشع حتى يبتسم جنكيز خان في رضا ثم يأمر جنوده بالإجهاز

على هؤلاء السادة ، الذين بقتلهم ذويهم يكونون قد اختصروا لجنود جنكيز خان مهمة القتل الشاقة إلى قتل عدهم الضئيل .

ولقد امتدت الموجة المغولية وابنة عمها التترية ، بعد جنكيز خان على يد هولاكو ، ١٢١٧م - ١٢٦٥م ، تهلك الحرث والنسل حتى أوقفها " قطز " ، بطل دولة المماليك المصرية، بالتصار عين جالوت عام ١٣٦٠م .

اعتنق المغول والنتار الإسلام فيما بعد ، لكن " الجنكزية " بقيت رمزاً للتوحش والهمجية ، لا نراها فقط في طغيان الدول وجبروت الحكام، لكننا نجدها نزعة ظلم موجودة عند الكثيرين بنسب منهاوتة ، بل ونلاحظها عند بعض المثقفين والكتاب والأدباء والمفكرين الذين يعلنون رفضهم الصارخ للظلم وكبت الحريات ، ولا أذيع سراً حين أذكر أنني شخصياً عانيت حين اجتاحني جبروت فارس الرومانسية يوسف السباعي وقت أن جاء رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال ورئيساً لتحرير مجلة المصور ، التي كنت بها معينة ناقدة وكاتبة ، فمنعني من النشر منذ المصور ، التي كنت بها معينة ناقدة وكاتبة ، فمنعني من النشر منذ هنايا الرأي الملفقة التي كان السادات يحتاجها من حين لآخر ، وظل هذا المنع جارياً ، وظلت تلك الملاحقة جارية حتى بعد رحيله بخمس سنوات ، إلى أن عدت لعملي وللنشر ٥٠ / ٣ / ١٩٨٣ .

ويؤسفني أن أقول أن فارس الرومانسية يوسف السباعي لم يكن السابق في هذا الإجراء " الجنكيزي " ضدي ، فلعل الأستاذ الفاضل أنيس منصور يتذكر أن ضربته كاتت المبكرة والأولى ، حينما جاء بعد موسى صبري رئيساً لتحرير مجلة الجيل مطلع ١٩٦٠ ، وكانت تصدر عن دار أخبار اليوم ، عندما أعلن أنه يريد أن يرى المجلة مكتوبة بقلم أنيس منصور من الغلاف إلى الغلاف ، وعليه قلا يجوز أن يكون بها غيره ممن يعرف فن الكتابة ، حتى ولو كان زهرة صغيرة شابة ، لم تتعد الثانية والعشرين ، تحاول أن تطل بقلمها كيما تتنفس موهبتها ، فأثر كتمانها حتى الخنق بمد المنافذ لولا فرارها من أمامه ، بل من مصر كلها للدراسة بأمريكا ١٩٦٠ نجاة من النزعة " الجنكزية " المبيدة التي كلم النرا تتلبس الكثيرين وترغمني ، حتى الآن وأنا على مشارف السبعين، إلى الفرار من وجهها متنقلة من جريدة إلى أخرى ، متى أعطتني "الأمان" ، ولو إلى حين .

في عهد عبد الناصر اشتهرت مقولة: "كلنا جمال عبد الناصر"،
 صحيح مئة بالمئة: كلهم جمال عبد الناصر!

العلامة محسن عبد الحميد وجناكزة العصر

" لحاها الله أنباء توالست علمى سمع الولسيّ بما يَشُسقُ يُفصّلها إلى الدنيسا يريسة ويُجملهسا إلى الأفساق بَسرَقُ تكاد لروعة الأحداث فيسهسا تخسال من الخرافسة وهي صدق وقيل معالم التاريخ دكت وقيل أصابها تلف وحرق"

وقيل وقيل وقيل وفيل ولم نكفكف الدمع أبدأ يا شاعرتا أحمد شوفي ، منذ قلت أبيلتك عن نكبة دمشق في تياترو حديقة الأربكية بالقاهرة ، يناير ١٩٢٦ .

رغم كل ما نحسبه "من الخرافة وهي صدق "، فقد صعب علي تصديق ما هو مؤكد قد حدث وحل بدار العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد . لقبه في الأخبار المذاعة والمنشورة هو " رئيس الحزب الإسلامي بالعراق "، لكنه عندي هو " العلامة " من أفخر علماء العراق ، وواحد من أهم علامات الثقافة والأثب والوعي في أتحاء أمتنا

العربية والإسلامية . عاصريته في بغداد سنوات إقامتي بها ١٩٧٥ -١٩٨٠ ، لكنتى لم أقابله قط ، كان كتابه القيم "حقيقة البابية والبهائية "، الصادر عن مطبعة الوطن العربي ببغداد ، من أنفس ما حملته معي إلى القاهرة ، حافظت عليه واتخذته مرجعاً علميا دقيقاً لكتابي / الملزمة : " في مسألة السفور والحجاب " ، هذا العلامة ، الفخر العزيز ، يدخل عليه " جناكزة " العصر ، بمرافقة عراقي مترجم فظ يتلفظ بكلمات نابية ، ينتهكون حرمته ، حرمتنا ، فجراً في غرفة نومه ، يفرقعون الفتابل ، ويضعون كيساً على رأسه الجليل بكتم أنفاسه ليتمكنوا ، بالإرباك ، من شد وثاق يديه إلى الخلف ، ويقتادونه من دون أن يسمحوا له بشرب جرعة ماء ، ألا تبت أيديهم أولاد الأقاعي ، وبعدها يأتي الاعتذار " عن كل إزعاج وهذا تم عن طريق الخطأ " . أي خطأ ؟ كيف كان من الممكن أن يكون هذا الخطأ ؟ أن يتم هذا الخطأ بكل تفاصيله الثابية ؟ وكيف يكون من الممكن محو هذا الخطأ ؟ إنه ليس مجرد " خطأ " ، إنه التجسيد الوقح الملخص لواقع انتهاك حرمات العراق ، المستمر والسادر في غيّه، أرضاً وتراثاً وتاريخاً ، إنه التنويع المضاف والمبتكر للإذلال والاستباحات، بعد فضائح سجن أبو غريب ، والقتل العشوائي ، والحصار، والتدمير الجماعي والجمعي ، ودهس المساجد والكنائس والمراقد ونهب المتلحف ، وإغراق الجميع في لجج فتن التحزب والتعصب والشد والجذب ومحاولات خلع الظفر من اللحم وفصل أعضاء الجسد الواحد ، البدن الواحد ، والصرحة الواحدة للبلد المطعون من قبل

ومن بعد : " حاه ... شو وسع جرحك يا عراق ... جرحك يا عراق بعطابه ما يلتم " .

بكى من بكى ، واحتج من احتج ، استعظاماً لنشر صور الطاغية القراق ، صدام حسين أسير الحرب المحروس بالرعاية الأمريكية ، وهو يضل ملابسه واعتبروها انتهاكا ، وهي في حقيقتها عبرة لمن يريد أن يعتبر ويتذكر وعد الله بأن يخيب كل جبار عنيد ، وقد تحقق وعد الله دائما ، لأنه لا يخلف وعده . لكن الانتهاك الحق هو أن نرى عقلاً أميناً من العقول التي آثرت أن تنتازل عن راحتها ومتعها الثقافية والفكرية النظرية وتطوعت لتركب الأنواء ، إخلاصاً وتخليصاً للبلاد ، نراه محسن عبد الحميد تسوقه جنود قوات أمريكية همجية، تقلدت وجه جنكيز خان ، بدعوى استجوابه ، ثم تنيين أنها فعلتها "عن طريق الخطأ".

الظاهر أن هذا الغطأ "المقصود "ليس سوى تحمس ، ومجس واختبار لمعرفة ما يمكن أن يتولد كرد فعل لفعلهم الشنيع ، بالإضافة إلى إجراء قياس مرغوب لعمق التهاون المرجو ، والتخاذل المنشود ، والتغاضي المطلوب عن القبضة الأمريكية الرابضة بعسكرها المحتل على صدر العراق ، هذه القبضة الوريثة والحريصة على استنساخ الوجه الصدامي ، والأمينة على فنونه في التغيب وأفكاره الجهنمية في التفخيخ بالكلاب ، والتسميم ، بالبطيخ وغيره ، وحفر القبور الجماعية ، وكيف لا وهو منها وهي منه ؟ إنهم " جناكيز " العصر ، يجتلحون الديار ويعيثون فيها القساد ويهلكون الحرث والنسل !

الدم بالعراق الأن غير مقطوع عن منبعه الأول

أكفام غيظي من إتاحة الفرصة لبائع العراق وحافر بنر مصائبها لكي بؤدي دور البطل في قفص الاتهام ، ذلك الدور الذي لم يقلح في أداله حين كانت قوات الغزو الأجنبي تقطع للعراق كما يقطع السكين قالب الزيد ، وهو لاه ، ينب ويغطس يلوح ويصفق له الخالفون . أكظم غيظي لإتاحة الفرصة له ليهاجم ، من يجلس في مكان القاضي ، ويتواقح بمن أنتم ؟ " من دون أن يجبر على احترام السلوك ، وعدم ازدرائه للمحكمة ، ومن دون أن يرد عليه بصلاية : ومن أنت ؟ تأدب لأثنا مهما كنا ، تعبر عن رغبة الإنسان العراقي الحاضر والغائب ، والموتى في القبور وخارج القبور ، نحاكمك وأنت في غير حاجة إلى لعبة المحاكمة فسجلك معروف القاصي والداني وجرائمك المادية والمعنوية أكثر وأكبر من أن تعد وتحصى ، وأنت لمست رئيساً للعراق ، لا الآن ولا الأمس ، من أن تعد وتحصى ، وأنت لمست رئيساً للعراق ، لا الآن ولا الأمس ، من أن تعد وتحصى عرب الشرعي وغير الدستوري لمقاليد السلطة والأمور ، منذ قتلت زملاءك الكذا والعشرين غيراً وغيلة ومن دون محاكمة أو

قرصة نصبغ الشعر والوجه والقلب. بأي حق تتباجح بقولك: " أنا رئيس العراق " ؟ من انتخبك ؟ ومن صعلك ؟ من أنت ؟ نعبت دور " أبو طبر " أي أبو سلطور أو سكين أو مطواة - على أكمل وجه يمكن أن يكون عليه وجه السفاح الدموي عاشق الفساد والإفساد ، المتلذذ بإهدار كرامة الأعزاء وإهانة الضعفاء . تقول ما بني على باطل فهو باطل ، والله إنها لحكمة تخرج من فم من اعتمد الباطل وجعله دستوره وقانونه يسود به ويسيد به أعوانه الذين نشطوا معه في إعلاء كلمة الباطل على أرض العراق وأهل العراق وتاريخ العراق حتى جأر الحق بنداءات الاستغاثة : " اشتروني يا عرب ! " : وكان النداء لمستمعين " والقلب في صمم " . " والقلب في صمم " .

العراق الآن في مصالب ، نعم ، نعم ، لكن من الذي أودى به إلى كل هذه الحمم والزلازل والأعاصير وكعوف الشمس وخسوف القدر؟

رجاء لا تقلبوا صفحة صدام حسين ، فهي ليست صفحة ، إنها مجلدات لم يعف عليها الزمن ولن تمر أبداً مرور الكرام .

صدام لم يهدم لي بيتاً ، ولم يقتل لي ايناً يافعاً ملت إلى عنقه أفبل مكان نبحه ، وهو في درج من أدراج مشرحة ، ولم أرغم على دفع ثمن رصاصة قتلت لي عزيزاً ، ليس بيني وبينه ثأر شخصي ، لكن بيني وبينه مكتبة تحوي كتباً (متلأت بصور ضحاياه من علماء المسلمين باختلاف مذاهبهم ، وحكماء الصابئة وقساوسة الكنائس ، تركمان وأكراد وعرب وجلافه . بيني وبينه وجع القلب الذي صار مخزناً لآهات مكتومة

تكدست ولم تتمكن يوماً من باب خروج نحو فضائية إعلامية تقول لها : أوراق الشجر الزاهية تخفي فوهات الدمار والخراب والنبح وتكسير العظام وسحب الروح والعزة .

صدام حسين ليس تاريخاً اتتهى يا سادة ، إنه الإثم والذنب والخبث الضارب أطنابه إلى مدى لا يمكن لأحد ، حتى الآن ، أن يتكهن بنهايته .

كل هذا الذم بالعراق الآن غير مقطوع عن منبعه الأول الذي شقه وأجراه هذا الذي ما زال يتصور ، بجنون عظمته ، أنه رئيس العراق .

أوقفوا تمثيلية البطولة الازخة هذه ، والازموا المجرمين بالأدب المفروض عليهم داخل قفص الاتهام ، ولا تأخذكم بهم رأقة في دين الله ، الذي هو : حق الإنسان في القصاص العادل .

حاشًا لله يا أستاذة عائشة : صدام هو موسوليني وليس أبداً عمر المختار !

في يوم جلسة ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٥ من محاكمة عصابة السفاحين تحت قيادة صدام حسين ، قالت الأستاذة عائشة القذافي في لقاء معها على قناة الجزيرة : أن المحاكمة مهزلة ، وأن محاكمة صدام حسين تذكرها بمحاكمة موسوليني الشهيد المجاهد عمر المختار . وإنني في غاية الدهشة أن تتقوه عربية ، ناهيك عن ليبية ، بمثل هذا الظلم البين ، والإهانة البالغة ، ضد رمز جليل من رموز مقاومة ليبيا إبان بطش الاحتلال الفاشستي الإيطالي الذي سلطه عليها الطاغية موسوليني.

المقارنة الحقيقية تنعل بمساواة صدام حسين بموسوليني ، ويوضع شهداء المقاومة العراقية ، أيام الحكم الصدامي ، وعلى رأسهم الطماء والفقهاء ، في ميزان خالد الذكر عمر المختار .

لا أدري بأي حيثيات منطقية أو تاريخية رأت الأستاذة عائشة القذاقي ، عضو هيئة الدفاع عن قاتل شعبه صدام حسين ، التشابه بينه وبين عمر المختار ؟

هل حكم عمر المختار ليبيا ٣٥ عاما أباد أثناءها أهله وناسه وحقر لهم المقابر الجماعية وصادق خلالها مخابرات موسوليني ، كما فعل صدام حسين بصداقاته المشبوهة مع رامسقيلد وغيره ؟

هل سرق الشيخ عمر المختار البنك المركزي ووضع أرصدة البلاد من الذهب والعملة الصعبة في حاويات خباها في " عبه " ، كما فعل صدام ؟

هل كان لعمر المختار بيت أكثر من خبمته المتقشفة بين فقراء عشيرته ؟ التي صورها لنا مصطفى العقاد في فيلمه الشهير ؟ هل خدعنا مصطفى العقاد وأخفى عنا قصور عمر المختار وصور يدلا عنها موسوليني بقصوره وطغيانه وجبروته وقسوته الحاسمة المجنونة التي تشابه معها سجل صدام حسين الملآن بجراح ضحايا لم تلتم أوجاعها بعد ، لولا أن موسولويني كان يبطش بغير أهله وبأقوام لا تمت إليه بصلة دم أو دين أو عقيدة ، في الوقت الذي لم يتحرج صدام عن سحق قومه وأمته ؟

لقد مد موسوليني يده ليغتصب ليبيا وغيرها ، فهل مد عمر المختار يده ليحارب مصر وما جاوره من بالاد عربية ومسلمة ، كما فعل

...... حاشا قد يا أستاذة عائشة : صدام هو موسوليتي وليس أبدا عمر المختار !

" موكك " صدام حين استباح إيران والكويت ، بعد استباحته العراق نفسه؟

قولي لنا يا أستاذة عائشة القذافي عن وجه شبه واحد بين صدام حسين ، الذي أهلك حرثنا ونسلنا ، وبين شهيدنا عمر المختار رحمك الله !

كيف يمكن أن يختلط التشايه بين دكتاتور حاكم ظالم سفاح مثل صدام حسين ، وبين عالم فاضل ومقاوم تقي قدائي شجاع نبيل مثل عمر المختار ؟

اللهم اربط على قلوب أهل الضحايا المكلومين حتى لا تقتلهم هذه المحاكمة " اللطيفة " كمدا .

جرائم اغتيال وقتل وتفخيخ بالقلم والكلمات

إذا كان الجميع قد اتفقوا على رفض وإدانة القمع والإرهاب ، فإن الإدانة يجب أن تتم على المستويات كافة ، وإن أبشع أنواع الإرهاب هو ذلك الذي يستند إلى قوة السلطة ، التي تكون أجهزة الدولة بإمكاناتها الضخمة تحت يدها مجرد أداة طبعة تتحرك من فورها بلا عقل كالوحش الآئي المبرمج على السحق ببرود منفذاً الأوامر الشاذة لمن بيدهم ضغط أزراره أو إدارة مفاتيحه .

وإن كنا نعرف أن إرهاب الدول درجات : فمنها من تكنفي بالسجن والتعنيب ومنها من لا يشبع بلقل من أكل لحم مواطنيه أحياء حتى ينطبق المثل : " من يرى الموت يفرح بالسخونة " ، أي من يرى الإبادة والتصقيات الجسدية يحمد الله على الاعتقالات والسجن فقط، إلا أن إرهاب الدولة يظل إرهاباً مركباً أكثر جوراً وتعقيداً ، ذلك لأن الدولة وهي الملجأ الذي يلوذ به المواطن لحفظ حقوقه -- تصبح بالعة لأبسط الحقوق الإنسائية لمواطنيها ، تصبح نافية لحق أن يعيش المواطن آمنا

مطمئنا محقوظ الحرمات تحت ظل قاتون ، يعرف المواطن أنه بقدر ما يحميه يحمي البلاد منه ، وفق قواعد وأصول مرعية . وحين تعصف الدولة ، المفترض أنها الأعقل والأرصن والمالكة لغضبها ، لأنها مجموع العقل القيادي ، حين تعصف بأمن مواطنيها وتسلط عليهم وحوشها الآلية وفق أهواء وغضبات مستولين كبار ، من المحليين أو " العولميين " ، فيجب أن نعرف أن هناك من المواطنين من يشبهون ، في أهوانهم وغضباتهم وانفعالاتهم ، هؤلاء المسئولين . وإذا كان إطلاق الأعيرة النارية غيلة على السائرين في الطرقات جريمة نكراء وتستحق العقوبة القاسية ، فإن إطلاق الأعيرة النارية والكلاب المتوحشة لتعذيب أو قتل المعتقلين ، الأسرى العزل الأمانة في عنق الدولة ، جريمة مماثلة ، إن الم تكن أكبر ، وهي تستحق أيضاً العقوبة القاسية .

إن ممارسة التعذيب على المعتقلين هي شروع في قتل ، والقاعدة الإسلامية تقول : "لا حد على معترف بعد ابتلاء" ، أي لا عقوية على من يعترف تحت وطأة التعذيب ، ناهيك عن هؤلاء الآلاف خلف الأسوار منذ سنوات من دون تهمة أو قضية أو أحكام قضائية ، فقط إنهم ضحايا فلسفة : " الضرية الأمنية الاستباقية " ، التي تعني : " أنا أسجنك على شأن يمكن تقل أدبك ! " .

والقتل ، بالمناسبة ، لا يعني فقط القتل بالرصاص ، فهناك جرائم فتل واغتيال وتفخيخ بالقلم والكلمات ، وهذه الجرائم يمارسها بعض كتابنا : " المحترمين " بلا روية ولا رحمة . هناك من الكتاب العلمانيين من يحرض صراحة على كتاب إسلاميين ، فوابل رصاص الكلمات النهمر وينهمر على التيار الإسلامي كلما أراد أن يقول : إني هنا في شارع الناس ولي تقلي وعدي للوطن أحلام ورؤية ووجهة نظر . هناك بين العلمانيين كتاب : " قتلة بالنوايا " ، يمارسون الإرهاب بالكلمة ويستعدون السلطات على تيار في الأمة راسخ ، ويسدون النصيحة ، للمسئولين المحليين و " العولميين " ، أن ابطشوا ، واجهضوا ، ولاحقوا ، وأقلقوا المضاجع ولا تتوانوا .

إن كلمة " الإرهاب " كلمة مطاطة ، ألقاها الأعداء كرة مسمومة على المسلمين ليشوهوا الجهاد في فسطين أولاً ، وسائر بقاع الأرض التي تحاول فيها الأغلبية المسلمة الإفلات من ذيل التبعية ليستعيدوا للإسلام موقعه وثقله الإنساني والسياسي على مائدة المجتمع الدولي .

أيوه أبوه ، نعم : احكوا لنا عما حدث والشريعة الإسلامية تحكم، على مدار الزمن الإسلامي ، وقولوا عمن قتل وعمن ظلم ، لكن لا تنسوا ، حضراتكم ، الذي حدث عندما لم تحكم !



تأمل في حديث رغد صدام حسين في ذكرى سقوط والدها

تشدني السيدة " رغد صدام حسين " ، مواليد ١٩٦٨ ، لمشاهدتها فهي تملك وجها له حضور ، ولدينا في مصر ممثلة شابة تشبهها كثيراً اسمها " منة شلبي " ، أرشحها الأداء دور السيدة رغد ، لو كان في نية أحد إنتاج سينمائي لفيلم جديد الاحق بفيلم " الأيلم الطويلة " عن مسيرة الوالد .

كل فتاة بأبيها معجبة ، هذا حق ، والسيدة رغد ابنة صدام حسين ، وهي كذلك ابنة مفهومات مختلة تريت عليها حول معنى الشجاعة ، ودلالات البطولة ، وماهية الوطن و"الرمز" و"القدوة" .

تحكى " رخد صدام حسين " بصدق واضح لحظات هروبها وأمها وشقيقاتها من العراق حين كانت قوات الغزو الأجنبي تتقدم حثيثاً لاحتلال " الوطن " يوم ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ – لم تتطوع للدفاع عن الوطن رغم أنها تملك مسدساً ورشاشاً وتجيد استخدامهما ...

تلمع عيناها وهي تذكر بقصاحة وتفاصيل كيف تلقت تعليمات الوالد أن " اهربوا " ، وكيف تتقلت من مزرعتها إلى مزرعة الوالدة إلى مزرعة الخال ومزرعة الأخت ، معذرة لقد ضعت تماماً بين كل تلك المزارع الموزعة على أفراد العائلة ، وهذا القصر ، وهذا البيت ، وذلك ، والسيارات ، والحراس ، والخنادق العسكرية ، التي تعلمت أنها مكان الاختباء الآمن من القصف ، وأوامرها التي تم تنفيذها ، رغم المستحيل ، لاعداد خندق فوري نفذه لها رجال الحماية المكرسون لرهن إشارتها . تواصل كلامها باعتداد وثقة عن اكتشافها أنها كانت "مستهدفة"! في نيئة كانت بغداد تضرب والوطن بأكمله " مستهدف " ،

في ليلة كانت العيون شاخصة تتساعل أين " الوالد " وأين " لدفاعاته " وأين " حماة الحمى " ، كان حضرته مشغول بتأمين الوسائل لتهريب أسرته ، وله عين بعد ذلك ليقول "عراااق" و"عراااقي" منتحلاً في المحكمة ، أمام عدسات النقل الفضائي ، دور الذي استبسل في الدفاع عن " الوطن " ضد جنود " الاحتلال " ، كأننا لم نره يستسلم لجنود الاحتلال وهم يشدونه من حفرة مخبئة . تقول رغد صدام حسين عن عمها ، الذي ظل يهلل بسوقية متناهية وهو بملاسه الداخلية ، في قاعة المحكمة يطالب بالعلاج والعناية والراحة ، تقول عنه : عمي الشجاع البطل ، والعم هو العم . صحيح ، هذه لديها هي الوشائج التي تعلو فوق كل اعتبار الرحمة والعدل والإنسانية لعموم أهل العراق كل اعتبار الرحمة والعدل والإنسانية لعموم أهل العراق

وشبوخه ونسائه وأطفاله المحروقين بالقنابل المحرمة ، والشاهدين شهداء في المقابر الجماعية .

تبتسم رغد صدام حسين وهي تشير إلى استتباب " النظام " أيام سلطة الوالد ، و"القوضى" التي تراها الآن تعم البلاد . نعم يا رغد مؤسف جداً ، موجع جداً ، محير جداً هذا التناحر بسلاح نسف مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، إنها أفعال بيد تشبه تماماً يد " النظام " ، كأنها هي ، أيام سلطة الوالد غير أنها كانت تنقذ بوسائل " منظمة " و " كاتمة للصوت " ، طبق الأصل : التفخيخ والتدمير والهدم والخطف والاقتحام و " استهداف" أمن الوطن ومصالحه وثرواته .

تسخر " رغد صدام حسين " من ذاكرة الشهود على جنايات سنطة الوالد ونظامه ، وتقول أنها لا تتذكر الكثير الذي مر بها منذ ثلاث سنوات ، فكيف يتذكر هؤلاء حوادث مرت منذ أكثر من عشرين عاماً ؟ " رغد " لم تعرف الظلم على حقيقته وقحشه لذلك فهي لا تصدق "ذاكرة" المظلومين التي ستظل ، بكل يد مضرجة ، تدق الأجراس تلاحق الطغاة واللصوص والمعقاحين إلى يوم القيامة ، أينما كاتوا ، ومتى كاتوا ، على كل أرض وفي كل وطن .

بسذاجة ، أو يزلة لسان ، شككت " رغد " في المشاهد التلفيزيونية التي تعبر عن الرفض الشعبي للوائد ، لأنها تعرف ، بالخبرة السابقة أيام " سلطة " الوائد ، أن هذه المشاهد والتقارير والأخيار يمكن أن تزور وأن تلفق . مرجعية موثوق بها طبعاً ، من ذا الذي يكذب "رغد" في شهادتها على تلفيقات " الوالد " ، وتزويره الإرادة الشعبية ، بل والحزبية ، التي يدعى أنها اختارته اختياراً حراً رئيساً شرعياً للعراق بعد مذبحة " الرفاق " ؟

لقد نبهتنا " رغد صدام حسين " - بحديثها الذي بثته قناة العربية مساء ٩/٤/٣٠٠٢ إلى أن أول قضية يجب أن يحاكم عليها " صدام " هي قضية إهماله الدفاع عن الوطن وحماية العراق ليلة الغزو بينما كان كل همه وانشغاله موجها لتأمين سلامة العائلة وتسهيل خروجها بمسروقات البتك المركزي والحاويات الممتلئة بالكئوز ، المملوكة للشعب العراقي ، حتى تتمكن "رغد" من الاستمرار في العيش مرفهة ، مدللة ، لا تجد بأسا في الاستعانة بالصلاة ، والبكاء في السجود، وقراءة آية الكرسي ، كما تقول ، غير متحرجة ، ولا متأثمة ، وللأعمام ، رغم ما اقترفت أيديهم من المظالم والجرائم والسرقات والخراب والويلات التي تئن منها البلاد: " صنعة إيديهم وحياة عنيهم "!

الأجدى أن تخشع الله ، وتستغفره وتسأله النجاة بـ " التوبة " ، فهو الغفور التواب الرحيم .

الفئران تلعق من دمائنا حساءها

هذا العنوان مأخوذ من صورة شعرية دقيقة وموجعة جاءت في قصيدة أمل دنقل "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" ، التي كتبها في وقت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، حين قال : " الفئران تلعق من دمي حساءها ولا أردها "! هذه الصورة تقتحمني هذه الأيام ولا أملك الفرار منها . لم أحد أفهم ، والعراق يحاكم المسئولين عن مذابح " الدجيلة " ، كيف يتم تبرير إطلاق اليد الأمريكية لنبح " الرمادي " وترويع أبريائها ؟ كيف تتم هذه الإبادات ، المنتقلة على خريطة العراق ، بحجة " محاصرة للمسئحين " ، هل من أجل إزالة شر ترتكب كل الشرور ؟ الصور أمامنا جميعاً ولم يعد هناك من يحتاج إلى شرح أو كلام ، اللهم إلا هؤلاء المغرمون ببث الرسائل السلبية إلى وجدان الأمة لسلبها الوعي يحقها في النهوض وصد القنران اللاعقة ، بتلذذ ، دماءها .

التاريخ يعيد نفسه إلى درجة الملل . لا أحد يتعظ ، لا أحد يتعلم، لا أحد يستفيد . تعاقبت الحروب على بنى البشر ، ونالوا من ويلاتها

الكثير ، لكنهم ما أن يقوموا من حضيض كارثة حتى ينهمكوا في التخطيط لكارثة أسواً ، رغم معازف الحكماء والعقلاء الذين لم يتوقفوا عن ترديد ما خلاصته : " الحرب وبال المنتصر والمنهزم على حد سواء"، وما صاح به الكورس اليوناتي منذ ٢٦ قرناً : " يا ويلتي ما أفدح التصارى !

قي ظل كل هذا التوتر والعصبية والتربص الذي تشيعه تهديدات وتحرشات أمريكا لضرب هذا وذاك لتغيير خارطة الشرق الأوسط، والوطن العربي، والأمة الإسلامية، وفقاً لأهوالها البشعة وشعاراتها السوقية المبتذلة، تمهيداً لتأكيد هيمنتها الامبراطورية على الكرة الأرضية والتحكم في مقدرات سكانها، وإخضاع الكافة لميزانها المطفف، الأرضية والتحكم في مقدرات سكانها، وإخضاع الكافة لميزانها المطفف، بتاريخ أول يوليو عام ١٩٤٠. كان عدداً خاصاً عن " الحرب "، بعناسبة الضمام إيطاليا موسوليني إلى جانب ألمانيا هتلر، الذي أشعل الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣١ واستطاع أن يبقر بطن أوروبا ويتوغل في أحضائها بدعوى إفساح المجال الحيوي للشعب الألماني هتلر، خلال فترة وجيزة، النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والدانيمرك هتلر، خلال فترة وجيزة، النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والدانيمرك والبرويج وبلجيكا وهواندا وفرنسا حتى تهددت انجلترا، التي كانت الإمراطورية العظمي المحتلة ليلاد عديدة لا تغرب عنها الشمس.

اختارت الجلترا في لحظة الخطر ونستون تشرشل رئيساً للوزراء في مايو ١٩٤٠ ليقود جبهة الحلقاء ضد ما تم تسميته دول المحور بقيادة ألمانيا هتلر ، وكان تشرشل قد وقف يقول في مجلس العموم البريطاني : " ... فإني لست أذكر يوما من أيام الحرب الماضية كنا فيه أدنى إلى الخطر وأقرب إلى الزوال مما نحن فيه اليوم "!

كانت انجلترا في ذلك الوقت تحتل " مصر " ، ويقيم بالقاهرة مندوب احتلالها "المعتمد البريطاني" ، يحكم بلادنا علانية وفي الخفاء ويؤكد بوضوح لكل الأطراف أنه السلطة الفطية العليا بها . ورغم أن الشعور الوطنى العام ، في ذلك التاريخ ١٩٤٠ ، كان قد بلغ ذراه في كراهية هذا المحتل الغاصب المذل لكرامتنا ، ويرى أننا لا ناقة لنا ولا جمل في صراع هذه الحرب بين مسكرين مجرمين يتنازعان الأسلاب والسرقات ، وقد ترميخ في أعماق أهل مصر، عبر السنوات المهينة المريرة ، معرفة الكذبات المفضوحة للافتات " الحرية " و " الديمقراطية " و " الحضارة " التي كانت أجهزة الدعاية البريطانية تصرح بها ، مع حلفائها وأذنابها ، مؤكدة إدعاءها أنها تدخل الحرب لتحمى " الإنسانية " من بطش النازية ووحشية الفاشستية ، إلا أن الأمر ثم يخل من أصوات عربية ومصرية وقفت تساند أكاذيب " الإمبراطورية البريطانية " ، ونشرت هلال ١ / ٧ / ١٩٤٠ صوباً من تلك الأصوات النشاز ، التي لا يخلق منها زمن من الأزمان ، بقلم الأستاذ سامي الجريديني ، استغرق ٥ صفحات بهتف بانسائية المحتل القاتل لبلادنا! انتخبت " الهلال " مجموعة من أصحاب الأقلام ، نجوم عصرهم ، وحددت لهم الكتابة في موضوع " الحرب " ، كان أعمقها ما كتبه الدكتور أمير بقطر ، رئيس قسم التربية بالجامعة الأمريكية تحت عنوان : " التطورات الاجتماعية المنتظرة بعد الحرب الحاضرة " .

لم يظهر الدكتور أمير بقطر الحيازه لأى كتلة أو معسكر ، بل إنه بدا مزدريا لكل مظاهر الحماس المواكب لملعب الحرب ومقولات الزعماء في عصره وما قبل عصره . كتب بسمت العلماء الهادئ ، وإن لم يخف شبح ابتسامة تهكم تعتريه بعد كل جملة طنانة يوردها مقتبسة من غيلان الحرب على كل جانب . طرح د . بقطر تساؤله الجوهرى : " ... ما عسى أن نتوقعه من التغييرات الاجتماعية الخطيرة التي تطرأ على الأمم والأفراد ؟ " ، ثم قسم إجابته إلى : " أولاً : من ناحية الحرب والسلام والخلق الأممى " ، ويورد من أقوال اللورد كتشنر في الحرب العالمية الأولى - (١٩١٤ - إلى ١٩١٨) - قوله : " الاعتدال في الحرب غباوة ، فإذا ما خضنا غمارها وجب أن نوطد العزيمة على ربحها بأى ثمن كان ، فلا الحقوق الشخصية ، ولا شرف الفروسية ، ولا وخز الضمير ، يلزم أن يكون حائلاً بيننا وبين النصر " - (! ?) - ويبين د. بقطر أن الناس في فترة السلام تنسى الصيحات الخشنة . " ... تلك العاطفة الحيوانية الوحشية التي لا يزال الإنسان يكنها نحو أخيه الإنسان رغم العلم والنور والمدينة ... يقولون أن الكذب مباح في ثلاثة : الحرب والصيد والانتخابات ، بيد أن بعض الشعوب قد غالت أخيراً في احترام القانون الدولي ومراعاة الآداب الاجتماعية ، فكانت تروح ضحية غيرها من الشعوب التي لا ترعى للصدق حرمة ، ولا للأماتة نمة ، والتي جاهرت في مناسبات شتى أن الآداب الاجتماعية لا يمكن تطبيقها على

الشَّنون الخارجية ... "! ثم يواصل: " ... أعتقد أن العالم كله سيجعل البنادق والقتابل عمدته ... " . يقول د . أمير يقطر في " ثانياً " : ... هذه الأداة الديمقراطية لابد أن تتمشى والعصر الحاضر فيتناولها الكثير من الصقل والتعديل ... وتحديداً جديداً لمعنى الحرية ، وستسفر الحرب الحاضرة عما أقول ... ثالثاً : من الناحية الاقتصادية... اليؤس ، والفقر المدقع ، والقحط ، والشقاء ، وضيق العيش ، وغيرها من الولايات ستضرب أطنابها في بلدان العالم ... إلا أن عوامل البؤس هذه المرة ستظل ناشية أظفارها عشرات عديدة من السنين ، وستقبض الحكومة بيد من حديد على موارد الثورة وتثقل كواهل ذويها بالضرائب الفادحة ، وتتغلغل في الحياة العامة ... ويتعبير أوضح ستضطر الحكومات ، حتى أشدها ديمقراطية ، بالأخذ بشئ من المبادئ المشتركة بين الفاشية والنازية والشيوعية المعروفة اليوم ... رابعاً : ... دل تاريخ الحروب على أنه سرعان ما تضع الحرب أوزارها حتى تكتسح بلداتها موجة طاغية من الاتحلال الأدبي والتفكك الخلقي ، خصوصاً في أعز ما يتمسك به الناس عادة من العناصر ، وأشد ما يحرصون عليه من مبادئ ... وليس هذا بغريب من الناحية العلمية ، إذ أن الطبائع الإساتية ... الوحشية ... تأخذ في الظهور في أبشع صورها وأخشن مالمسها ، كلما طعنت الأزمات طمأنينة الإنسان في الصميم ، وهددت كيانه . وهذه الحرب لابد أن يختل في ختامها ميزان العالم من الرجال والعتاد ، فتصبح الملايين من النساء بغير رجال ، ويصبح الملايين من الأطفال بغير آباء ، وتباع الكرامة وعزة النفس بأبخس الأثمان ... ستظل هذه الفوضى أعواماً لا يطم إلا علام الغيوب عددها ، ونظل العناصر الاجتماعية تتفاعل كمواد الكيمياء حتى يصفو المزيج ... "

ما أشبه اليوم بالبارحة ، إلا أن تحليل د . أمير بقطر لم يدر في خلاه ما تفتقت عنه العقلية الإجرامية الأمريكية لحل مشكلة " النساء بلا رجال " و " الأطفال بل آباء " ، وذلك بقتل النساء والأطفال في عمليات " الإبادة " المنهجية المسجلة باسمها في براءة الاختراع التي سوف يحفظها لها التاريخ في صفحات العار .

معذرة ولكن : ماذا بوسعي أن أقول ؟

فوق طاقتي كل هذا الظلم الذي تعاصره . يضربنا العدو وتجد من بيننا من تشند به الحماسة ليؤكد أننا السبب والمسبب ، وأن الضرب بالنهاية ليس اختراعاً أمريكياً ولا صهيونياً. فصيل بيننا مهمته بث الرسائل النفسية السئبية لتنخر في عظامنا تحت لاقتة " النقد الذاتي " ، لا أدري ما كل لكنها لا تخرج عن كونها " عقدة اضطهاد ذات الأمة " . لا أدري ما كل هذا التلذذ بإدانة النفس لصالح الدفاع عن أعداء يتجشأون كراهيتهم لنا بوجهنا صباح مساء ؟ حين تنتقل فرق الإبادة الأمريكية على أرض العراق بالطول والعرض ، وتقتصب الصبية وتقتل مع أمها وأبيها وأخوتها ، أيجوز أن نقول : لا بأس ، لقد فعل صدام حسين ذلك من قيل؟ وهل أعجبنا فعل صدام حسين ؟ وهل ساد بجرائمه ؟ وهل حسبناه من " بعضنا " حتى نقول إن جرائمه من اختراعنا ، وأننا قد ألفناها وأتلفنا معها ، بحيث لم يعد يدهشنا أن تلعق الفنران من دمائنا حساءها ؟ من

قال صدام حسين كان" نحن " ؟ ومن قال أن أمثاله ، الذين روعونا وسلطوا علينا التتكيل ، والمقابر الجماعية ، كانوا " منا " ؟

لا تتنازل أمريكا عن مقولة : " من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها " ، ولو يقصف شواطئ التنزه وخطف النساء والصبية والأطفال عنوة من بيوتهم ، باعتماد قرار جائر ، لا رجعة فيه ، بأن "حماس إرهابية " ، والشعب الفلسطيني الذي التخبها عليه أن يعاقب على اختياره، ومن ثم أصبحت إسرائيل في استباحتها للمدنيين والعزل: " معها حق " . وحين تتجاوب الأقلام مع صرخات : " أأآباه ... بااباااااه "، يقوم من بيننا من يدافع عن منطق أمريكا والاتحاد الأوروبي وصرحات إيهود أولمرت المتوحشة ، وقواد جيشه المسعورون الهاتفون على الملأ ما معناه : " ظفر الجندي العسكري الإسرائيلي برقبة كل الفلسطينيين وحكومتهم ، فهم جميعاً ضد السامية ، وجميعا حلال فيهم القتل والسحق والنسف! " ، ونسمع لغة تسفيه متعالية مضمونها: " شوفوا ماذا تفعل الفصائل الفلسطينية مع بعضها البعض! " وقبل أن نفتح فمنا لنقول: " وهل تبرر الأخطاء الجرائم ؟ " ، يخرج من يتفذلك ، ببلاغة شريرة ، عن " الآخر " الذي لا يجوز أن نرفضه ولا يجوز أن ندينه وإلا أصبحنا مسئولين عن "ثقافة الكراهية " ، التي يشهد التاريخ أنها من اختراع الغرب الفائستي / النازي / الصهيوني/ العنصري ، وذلك لكي نتحول إلى معتذرين نلوم أنفسنا ليلاً ونهاراً ، لأننا اخترنا طريق النهلكة وامتلأنا بالرغبة في مقاومة قاتلينا! والمؤذى أننا حين نستسلم يهب من سبق وعايرنا بالمقاومة ليصفعنا بشماتة منداً: يا خايبين يا خاتعين ، شايقين إسرائيل واثقة كلها فكباً وقالباً تدافع عن جندي صغير واحد ، أو كما قال القائل: " هل عيب أن نعجب بأعدائنا ؟ أنا معجب بإسرائيل ... أنا معجب يهذه الدولة التي تحرك جيشها لهدم البلاد قوق رؤوس أهلها لأن جندياً من جنودها المغتصبين اختطف ، بينما نحن الذين اعتدنا على صفع الأقفية وتدلي الأعناق والقبول بالإهانات دون رقع الوجوه لرؤية حتى - من يصفعك إذا ما كنت لا تنوي رد الصفعة ... " - من يوميات عبد الرحمن الأبنودي ، بجريدة الوقد ، ٢ / ٧ / ٢٠٠٦ ، الصفحة الأخيرة . ولا تجد صبراً ولا بعريدة لندخل في مهاترات حول بدهيات مثل : وهل تقف إسرائيل وحدها؟ أعميتم عن جيش أمريكا والقوات المتعدة الجنسيات معها ومؤتمرات الدعم لتأييدها وهي تهدم البلاد فوق رؤوس أهلها ؟

ومتى اعتدنا صفع الأقلية ... إلغ ؟ هل اعتدها أطفال الحجارة الأسرى في سجون الدولة العدو المعجب حضرته بها ؟ هل اعتادتها المقاومة التي لم تتف يوماً عن تشف وجوه شهدالها المرفوعين فوق أكتاف آبائهم وأمهاتهم وشفيقاتهم ، المزغردات بإباء في عرس المق الرافض لإهاتة الاحتلال ؟ ولا أعني " المقاومة " و " الانتفاضة " التي بدأت منذ يوم أو يومين أو منة ، بل أنكر بالمقاومة التي لم تتوقف لحظة منذ أكثر من قرن ، من قبل ١٩٣٦ حين هب أهل فلسطين يتنادون

بالجهاد ضد التسلل الصهيوني ، بل ومن قبل وبعد ينفور ١٩١٧/١١/٢

متى سكت الناس ومتى استكانوا وكيف ؟

نعم : هناك من اتحازوا إلى الأعداء وارتضوا أن يكونوا بأيديهم سلاح قتل الذويهم ، لكنهم كاتوا " منا " سابقاً وصاروا : " هم العدو " الذي علينا أن نحذره حتى لا يزيدنا خبالاً .

تهديد الوحوش غير المرئية

سحب رمادية تتجمع وتتكثف مائنة رأسي بلونها الداكن . أحمل الثقل وأتمنى هطول الدمع . تجلبني مساحة الصمت فأجدني في عنقوان التوتر . ألوذ بغرفتي معادل الرحم الأكون بداخلها الجنين الذي لا يرغب في الميلاد توقا إلى التكوص نحو قبل البداية ، ليست مناشدة للموت لكنها مناشدة للمستحيل ، مناشدة باليتني لم أكن لكن كينونتي كانت فتخضع هامتي وأحمد الله مسلمة له وجهي فيضله الندي .

الفياتيجاتيفا ، الترحها جروتوضكى في مسرحه الفقير ، الإلغاء، توفير الجهد ، الاقتصاد في الاحتياج ، كبح الثرثرة ، التلخص في الضرورة بعد تكثيفها لكيلا تشغل إلا الحد الأدنى في الحيز ، التحرر من الترف والسرف وسوقية التخمة . أدار جمال حمدان ظهره للضوضاء ليتبتل في حياة الضرورة المختزلة . لم ينعزل جمال حمدان لكنه عزل الضجيج عن مكتبه وأبحاثه واختار صحبته بعناية : القلم والورق والعقل

المتوهج المتفاعل في الردهات الرحية لعمائر الفكر . حدد الاهتمام ويلور الجوهر فتوضح لديه الملغي وتخلص من وطأة الحمولة الزائدة والزحام الكاذب ومهاترات الجدال النافق . حول الموقف الشعري من فكرة مجردة إلى واقع عاشه والنزم بالنظرية الصعبة حياة يومية وتفرغ لتدوين الدفاع عن ذات الوطن / الأمة ، التحصينها بالرسائل الإيجابية في مواجهة المعوان الداخلي والخارجي ، الأهلي والأجنبي ، لكن الضجيج تسرب إليه رغم تحوطاته ، تجسد في مؤامرة لاغتياله أخذت شكل اسطواتة غاز تحمل هوية الضمائر غير المكترثة . آه لو أنه كان قد استغنى عنها ولو بحك حجرين ليولدا موقداً من عصر الإنسان الأول!

...

كانت السياع والضياع والذناب والأقاعي والعقارب وغرائب الوحش في البر والجو والبحر ، مع الزلازل والبراكين والصواعق ، قوي التهديد لابن آدم حين حط على الأرض بيته، لكنه عرف الآن ، كذلك ، تهديد الوحوش غير المرئية : التلوث بكل مقسدات الماء والقاكهة ومالذ واشتهته النفس من أمن وطمأنينة . الذعر طوق منتف حول الأعناق ، والجسد مرتع لمقاجآت المرض البغتة .

خذنا على كفوف نطفك يا رينا ، ولا تحاسبنا بأعمالنا ، جازنا برحمتك ، فأعمالنا ، مهما أثقنا النضرع ، غير كافية . تخايلني وحوش العصر غير هيابة السباحة في بحار القسوة تجعلها مداداً لمخالبها تنقش بها مخاتيها : صور من القبح والدمامة لا تغيب .

إلى الغرفة الرحم يصعد ضجيج الأفتراس ، يزداد توتري لصراخ بين النجاة والموت ، لا أملك دفع الأذى :

خدنا على كفوف لطفك ،

خذتا على كفوف لطفك .

إيش لونك يا مظفر النواب ؟

كلمة من هذا وخير من هناك فهمت منه أن الشاعر مظفر التواب يعاني من مرض خطير ، وأنه حالياً يعالج في لندن أو دمشق . إن فقد عرفت ، أخيراً ، ولو بالتقريب ، أبن يحط مظفر النواب رحاله بعد أن ضاعت منا أخباره في الدنيا الواسعة ، محروماً من العراق ، حتى صار بذاته عراقاً كاملاً مقترشاً العالم ، مخترقاً الحدود ونقاط التفتيش مواصلاً الحسم : "جرح صويحب بعطابه ما يلتم ... " .

كان ديوان مظفر النواب " الريل وحمد " دائماً أمامي ، ولكني حين بحثت عنه امتلأت يدي بغيار مكتبتي والم أجده . " مظفر النواب " ، شاعر الوجع العراقي العظيم ، قابلته الأول مرة عام ١٩٦٩ في دمشق ، ظل رحالة بين العواصم العربية ولا يمكنه العودة إلى بعداد ، إلى "شريعة النواب" ، المنسوبة إلى عائلته والمنسوجة في الغناء الشعبي العراقي .

في دمشق سوريا ، وفي القاهرة المصرية ، وفي طرابلس ليبيا، كان التقاتي بمظفر النواب يأتي قدراً ، وكان غناؤه المتفجع ينتشله ، حين يبدأه ، من لمنة الجالسين ليحلق به وحيداً عبر أزمنة الآلام العراقية جاذباً معه نداءات الاستغاثات البشرية . غناؤه داويا حتى الآن في أذني : "أضحك ؟ إيش لونك أضحك ؟ أبكي ؟ إيش لون أبكي ؟ "ينطق الضاد : ظاءا ، والكاف : شيئاً ، وفقاً للهجة العراقية ، التي يصر بها العراقي على أن لغتنا العربية هي : "لغة الظاد" !

غناء مظفر النواب مغزول من النحيب والواولة الموسيقية الفائرة كالنصل في القلب . كتلة شعر وموسيقى وغناء ، كلها فنون مظفر النواب . الشعر شعره ، واللحن والغناء ارتجالات لحظية كنت أراها عرضاً مسرحياً لا مثيل له .

في ديواته " الريل وحمد " ، الذي يعني " القطار وحمد " ، توجد قصيدته عن شهيد من الشعب ، هو كل الشعب ، اسمه " صويحب " ، تصغير لاسم عراقي شائع هو " صاحب " ، كنت كلما التقيت بمظفر التواب أيادره بمطلعها الصارخ في الباكيات : " ميلا لا تتجطن كحل فوج الدم ! ميلا ! وردة الخزامة تتجط سم ! " وهي كلمات ، مازلت أحفظها ، لأم الشهيد "صويحب" التي ترفض البكاء وتقول ما معناه : " ابتعن ! لا تسقطن الكحل فوق الدم ! ابتعن! حلية الأثف الوردة تسقط السم " " وكان مظفر ينطلق بعد هذين البيتين بآه ملوعة حين يكمل : " حااااه! شو وسع جرحك يا صويحب ... " ،أي "آاااه! ما أوسع جرحك يا صويحب ...

"حتى يصل إلى القطع بأن: "جرح صويحب بعطابة ما يلتم .."، أي أن جرح صويحب لا يلتتم بدواء أو ضمادة! – ويعذرني العراقيون إذا كانت ذاكرتي قد أخطأت في كلمة مما ذكرت أو شرحت أو أسأت هجاءها لأن الديوان الذي كان أمامي قد تعمد الاختفاء!

ريما يكون مظفر النواب قد بلغ الآن السبعين أو تعداها بسنة أو سنتين ، غير أنه كان دائماً يبدو عمرا لا يتحدد بأيام الزمن وسنواته .

حين زرت العراق لأول مرة عام ١٩٦٩ علموني أن الموت عند العراقي هو: الهجرة، هو: النزوح ، هو ألا يكون بالعراق يشمه ويحتضنه ويواسيه . كان العراقي إذا انتقل من حي إلى حي ، في المدينة نفسها ، يشكو اغترابه ، أما أول ما تطمته من غنائهم الشعبي فكان : "شي مالي والي ، يو يا اسم الله ، متعنبة بدنياي يا بابا ، شي مالي والي ... بطة وصادتني ، صدقة لله ، بشريعة النواب يا بابا ، بطة وصادتني ، صدقة لله ، بشريعة النواب يا بابا ، بطة معي عام ١٩٦٩ وعلمتها لكل أصدقائي المحبين للغناء في مصر ، وكان منهم وقتها الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، الذي قال لي ، بعد ذلك بسنوات عديدة ، أنه كلما حضر حفلاً موسيقياً عراقياً طلب منهم غناء "شي مالي والى ... " التي صارت تذكره بوقته في مصر عبر نبذبات الوجد العراقي !

وتلك الأغنية التي تعني : "كي أن ليس لدي حامياً ، متعنبة في دنياي ؟ " هي واحدة من أغنيتين شعبيتين عراقبتين تشعلان القلب حنيناً والصدر شوقاً وأتيناً – والسجع من عندي غير مقصود – والأغنية التي أعنيها هي : " يا زارعا بنر الجوش ، إزرع لنا حنة ، وجمالنا غربت ، وويلي ، للشام وما جناً ... يا محبوبي جرحتني داويني، جرحك يا قلب خزن ولا تسكينة ، يا زارعاً بثر الجوش ، ازرع لنا حنة ... "

واللحن يمزق الحشايا بالشجن والشكوى أن جرح القلب قد امتلأ بالصديد ولا مواساة يمكن أن تهدئ من الألم . أليس هذا صحيحاً تماماً ، وبالنطق العراقي : " جرحك يا قلب خزن ولا تستشينه "! با رحمة الله أغيثي .

الحكم بإعدام صدام حسين : ياااه هَسَّة طخَّت ؟

اليوم 0 / 11 / ٢٠٠٦ صدر الحكم بإعدام صدام حسين شنقاً حتى الموت ! لم أملك سوى التعقيب بالمقولة العراقية ، على الأمور التي تتباطأ وتتأخر ثم تأتيك وقد فقدت معها الأمل فتخرج صيحة التهكم : " هااااه هسة طخت ؟!".

على مدى ثلاث سنوات ، منذ القبض عليه يعد أن ولى قوات النقزو الأدبار ، فراراً ساعة الزحف ، وساعد قوات الاحتلال على التغلغا لإحكام القبضة على بلاد الرافدين ، ولم يكن له هم ساعتها سوى أن يرسل من يبلغ أهله بالهرب بينما يصدر الأمر لأهل بغداد بألا بيرحوا منازلهم وإلا ... ، (راجعوا تسجيلات نلك الوقت) ، حتى لا يمكن المواطن العراقي ، من شرف الدفاع عن مدينته ، التي كان الأعداء يستبيحونها في سلامة لم يعرفها تاريخ المعارك الحربية. وتمني ، وتحقق مطلبه ، من أن يكون أسيراً المأمريكيين ، ولا يتم تسليمه نشعيه العراقي ، حتى بنال ما كان يجب أن بناله .

دارت تلك المحاكمة البطيئة لطاغية ، كانت طلقات رصاصه ستقر في الأدمغة والجباه والقلوب قبل أن يرتد إليه طرفه . لو لم يكن لصدام حسين على مدار سنوات حكمه للعراق جريمة سوى تسهيله لحتلال العراق ، الكفته عاراً وشناراً إلى الأبد .

لن أعلق كثيراً على الرطانة القانونية التي تناثرت بوجهي ، معددة ثغرات الحكم ، وأنا أتابع على القضائيات الأخبار وردود الأفعال ، حتى كاد يضيع مني وقت صلاة الظهر ، والتي بدت لي مثل الدعابات الثقيلة ، وكان منها قول بعضهم أن النطق بالحكم كان يوم الأحد وهو يوم عطلة !

كنت أتمنى ألا يتم القصاص من صدام حسين في هذه الدنيا: يجب أن يلقى الله سيحانه وتعالى بملف جرائمه كاملاً ، فلا توجد عقوية أرضية بشرية كافية توقع عليه تشفي صدور المجروحين وتذهب غيظ فلوبهم .

اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

هذا العنوان أعلاه هو الصيغة الوحيدة التي استطاعت أن تجلسني لتدوين ما صار يكتبه ذهني وقلبي منذ منبحة بيت حانون ، منذ وجوه الشهداء التي ما فتنت تطل علينا من فوق الأكتاف التي تحملها إلى حيث نقف أمام الواحد الدبان لينزل عقابه العادل على السفاحين ، ومنذ التراشق المريب بين تلك الأشباح على أرض العراق تقتل أهله وتدمر مقدساته وتسحق آماله بعد أفضل !

يقتلنا الأعداء ، مفهومة ، لكن ما هو ذلك الثأر المتصور بين الإمام "أبو حنيفة " والإمام "موسى الكاظم" من هو ذلك الباحث عن راحة في قصف " الأعظمية " وتفجير " الكاظمية " ؟ أين " التقوى " التي " لعلنا " بها " نفلح " ؟ فلسطين بين أتياب كيان صهيوني غاصب محتل ، هذا واضح ، لكن من هذا القك المقترس الذي لا يشبع من لحم أهل العراق ولا يرتوي من شرب دمائهم ، جرعات وفيرة ؟

يقف المجتمع الدولي / الذي هو الغربي ، مشمئزاً من مبدأ " عقوبة الإمرائيلية الإمرائيلية وهم نيام ، ولا شئ سوى لوم خفيف ونصائح للقاتل والمقتول ب " ضبط النقس "!

يغور اونالد رامسقيلا فاراً بجرائمه ضد البشرية ، ويأتي جبتس أكثر شباباً وعنفواتاً، ليواصل مشواره ، ويذهب نواب ويجئ آخرون من الحزب المنافس ، لكن لا تخالوا الديمقراطيين أكثر عطفاً علينا ، فإبادتنا هدف لا يختلف عليه الجمهوري والديمقراطي في الإدارة السياسية الفائستية للولايات المتحدة الأمريكية ، الخلاف بينهما ليس حول مبدأ السيطرة على منطقتنا ، لكنه حول التوقيت والكيفية . لم يتحرج دوايت أيزنهاور منذ عام ١٩٥٧ من الجهر بضرورة أن تملأ أمريكا " الفراغ " الذي نتج عن اتحمال الهيمنة البريطانية، كإمبراطورية احتلال – ولا تقولوا استعماراً فهي لم تعمر شيئاً يل خريت كل شئ – بسطت نفوذها على بلاد الإسلام والعرب أكثر من قرنين كاملين .

علم ١٩٥٧ ، هذا الذي يني علم ١٩٥١ ووقع فيه العدوان الثانثي على مصر ثم أوقفه التدخل الأمريكي ، هو العلم الذي وضعت فيه أمريكا ، نصب عينيها ، السعي التحقيق هدفها لتجلس فوق رؤوسنا وقلوينا - باعتبارنا " فراغاً " - وتنتزع إرادتنا في رسم خريطة "طريقنا". نعبت أمريكا لعبها مع الاتحاد السوفيتي ، شداً وجنباً تحت أبصارنا ،

لشعرة ترخيها لو أحستها صعبة المنال وتشدها بسرعة حين تلين في يد منافسها ، في حرص بالغ ألا تقطع أو تنقطع . وإلى الهدف سار رؤساء أمريكا من بعد أيز تهاور ، وكان من انتصار اتهم تسليم المنطقة ، شعوريا أو لا شعوريا ، بأن أوراق قضيتهم صارت مائة بالمائة في يد أمريكا ! قالها السادات فخورا باعتبارها حقيقة أزلية لا تقهر وتصرف على أساسها ، كأنه بقوله هذا الخالب قد أحرز انتصاراً بشكر عليه ، وصحيح أن عبد الناصر لم يقلها لكنه تعلمل معها بالتواءات عديدة واتفاق ضمني، وتصور شاه إيران أنه جزء من اليد الأمريكية الممسكة بيعض الأوراق، ولم يدرك أنه هو ذاته مجرد ورقة في اليد القابضة على رقبته تكرمشها وتلقى بها متى شاعت، واغتر صدام حسين مثله ونفخ صدره وأبرز كرشه وأطلق الرصاص في الهواء ، الذي حرم على أهل البلاد استنشاقه. جاء المكر الأمريكي بصدام حسين عام ١٩٧٩ ، أو قبلها ربما، وشكله طولاً وعرضاً تماماً على مقياس مصالحه لإنجاز مطالبه ، وتم ذلك بنجاح كامل منقطع النظير ، حرسوه وحافظوا عليه وأحاطوه بحماية جواسيسهم يخبرونه بكل مقاومة يحاول شعبه المظلوم الانتقاضة بها عليه ، الخارا لفرصة يقتنصونها السقاطه بمعرفتهم يدعون بها تتحريرهم" للعراق وأهل العراق ! وفي نشوة نلك الانتصار الأمريكي ، " زودها " رامسفيلد "حبتين" وأكش ، و"عك" فيها غياء بوش أكثر وأكثر ، وحتى لا يتعالى فوقه رامسفياد ويكثر من المن عليه أدخل كوندولهزا ب- " طيشها الخناق " في سياقه ، مما أدى إلى أن ينفجر رامسفيلد من الداخل ويتقاثر غير مأسوف عليه من أصدقائه قبل أعدائه ، كأنه قد نال مع "صديقه " صدام ، حكماً بالإعدام " استقالة حتى الموت "!

نيس طريقاً أن نعلم ، بالمناسبة ، أن عقوية الإعدام كانت من بنود حزب البعث ، توقع على من ينتمي لحزب البعث ثم يتركه ، إذ يعتبره الحزب " مبند" " ويصدر عليه حكم الإعدام " ألياً " ، من دون أى محاكمة أو حيثيات " قاتونية " ، فهو حكم " حزبي " أي "سياسي"، لأن الخروج من الحزب هو " وحده " الحيثيات ، فيالفصاحة " القاتونيين " المتحدثين عبر الأقمار الصناعية ومعهم هيئة الدفاع عن صدام حسين . أما الطريف فهو ذلك " الاستيشاع " الدولي – في ظل المذابح للأطفال – للحكم بـ " الإعدام " على سفاح طاغية مهد لقوات الغزو باحتلال بلاده ، ولم يطلق في مواجهتها ولو رصاصة واحدة في الهواء !

ما الدنيا إلا مسرح كبير ، هكذا قال من قالها ، ويمكن أن نقول يعدها : وما المسرح إلا دنيا صغيرة ، وغالباً دنيا كاذبة ، وأتمنى أن أضرب الأمثلة بعرضين شريرين تم إعادة عرضهما بالقاهرة وهما : "أهلا يا بكوات " و"الناس اللي في التالت " ، ولكن ليس باستطاعتي فعل ذلك حتى " تهذا " المذابح قليلاً ، ولاحظوا أنني لم أقل حتى " تنتهى " !

اللهم إني بريئة من بيان نقابة الصحفيين المصريين

أكتب بعد صلاة فجر عيد الأضحى ١٠ / ١٢ / ١٤٢٧ هـ، الموافق ٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٦ ، وقد صحوت على خبر تنفيذ حكم الإعدام شنقاً حتى الموت في صدام حسين ، إحقاقاً لحق الشعب العراقي في أن يشفي الله صدره ويذهب غيظ قلبه ، الذي تم كبته ما يزيد على ربع قرن كامل .

سجل جرائم صدام حسين تحت سمع ويصر العائم ، ولسنا في حاجة إلى سرده ، فهي جرائم من بشاعتها أنها لا تعد ولا تحصى ، أكبرها هرويه يوم رحف قوات الغزو لاحتلال العراق ، وعجزه عن مواجهتها ومقاومتها إلا بكلمات غثة فارغة كان بوقه فيها وزير إعلامه الصحاف ، " يهدد ويتوعد " في دائرة من الخواء والخلاء أمام فضائيات ينتظر جمهور مشاهديها مقاومة ملموسة فعالة بقوات الجيش النظامي والشعبي والحزبي والعثني والمخفي ، من دون أي جدوى ، فالسيد الرئيس مشغول بما هو أهم من تحريك مقاومة " الأشاوس " المنتظرة "

والمأمولة ، والتي كاتت قد أبلت بلاءها الفاحش في سحق الشعب العراقي بنجاح ليس له أي نظير في تاريخ البشرية ، سوى سجلات المتوحشين الذين ، وإن سحقوا بشراً وخربوا دياراً ، فهم من غير أهلهم وذويهم .

كان صدام حسين والعراق يستذل بجنود الأحداء ويغداد تلتهم وتستباح بقوات الاحتلال الأمريكي والدولي ، كان فخامته مشغولاً بتبليغ رسائله إلى زوجته ويناته أن : "اهربوا"! ومشغول بسحب أرصدة الشعب العراقي من البنك المركزي ووضعها ، ملايين الدولارات ، في حاويات وقعت في أيدي قوات الاحتلال الأمريكي التي صارت تتفق منها جوائز لمن يسهل لهم القبض على صدام وأعوائه ، تجسيداً للمثل المصري القائل : " من دقته واقتل له " .

لم تكن هناك " خصومة " بين قيادة جنود الاحتلال الأمريكي وصدام وأعوانه ، لكنها كانت " مخاصمة " بين حليفين فاجأ أحدهما الآخر بالتخلى عنه .

هذا يوم يجب أن تعبد القنوات الفضائية المنصفة عرض أفلام صدام حسين التي تسجل، في جزء منها ، مؤتمر غدره بزملاله يوليو ١٩٧٩ وإعلائه عن خياتتهم وقراره إعدامهم من دون إحم أو بستور لأنه قرار "سياسي "، والتي تسجل لقطات إذلاله للشعب العراقي بالركل والرفس ، والتي تسجل لقطات ترفه ولهوه هو وعائلته في قصوره

ومزارعه وحدائقه ، ومصافحاته مع دونالد رامسفياد ، ويقية أصدقائه من الأمريكيين ، الذين زينوا له قتل جيراته وتلويث النخل والضرع والنهرين حتى يجوع العراقي فلا يجد بلحا ولا سمكا ولا ماشية في مراعبه الفسيحة بمكن أن يشرب لبنها أطفاله ويأكل لحمها ، ذلك لأنها مسمومة، بدلاً من عرضه المخجل لأطفال العراق الجوعي والمرضير يتسول لهم الطعام والدواء ، يدعوى مأزق " الحصار الدولي " على العراق ، أنعشوا ذاكرة الأجيال العربية بجرائم هذا المأسوف عليه من عملاته ومرتزقته وكلاب صيده الذين تقاعسوا لحظة سقوط يغداد ويهددون البوم بإسالة أنهار الدم بالعراق تنفيذاً لتعليمات صدرت عن مقر قيادة المخابرات العراقية تقول: "في حالة سقوط الزعيم الحبيب صدام حسين - لا قدر الله - يتعين على كل خلية مطية من حزب البعث وكل فرقة خاصة من القدائبين وكل عميل للمخابرات أن بقوموا بتصفية المتعاونين وأن يحرقوا المبانى الحكومية والوثائق والقيام بأعمال السلب والنهب وكل ما يمكن أن يؤدى المفوضي العامة ... إن الأمر متروك لكل عضو مستقل بحزب البعث ليجد الوسيلة المناسبة لفتح بوابات الجحيم إذا ما سقطت حكومة صدام " - نقلاً عن مجلة المصور المصرية ١٧ / ١١/ ۲۰۰۱ ص ۲۸،

من حكمة الله عز وجل أن يعدم صدام حسين بمباركة أمريكية ، فهكذا يهلك الله الظالمين بالظالمين والحمد لله رب العالمين . أنعشوا الذاكرة التي ترى لحظة إحدام السفاح فتتأسف وتدين ولا تستعيد لحظات الموت الجماعي للشعب العراقي الذي لم يجد في لحظات محنته من يتقهم وجعه ويمد له يد المسائدة .

والغريب أن تسارع نقاية الصحفيين المصريين في هذا الصباح الميكر في يوم إجازة العيد ، ببث بيان يدين " إعدام صدام حسين " عير قناة الجزيرة .

متى اجتمعنا يا نقرب الصحفيين لكي نصوغ هذا البيان ونصوت عليه ؟ كيف تتجرأ على تزوير إرادة الصحفيين المصريين ، وأنا واحدة منهم ، وتفرض عليهم انتماءك الناصري الموالي للجرائم الصدامية ؟ كيف ؟ وأين كانت إدانتك أثت وغيرك يوم كان العراق يذبح ويشنق ويعدم بالمئات والآلاف كل دقيقة على مدار ربع قرن ؟

اللهم يا شاهد غير غالب : أشهدك أتي بريئة من هذا التزوير والخداع الذي يجب ألا يمر من دون حساب .

هل تكون أم كلثوم مسئولة عن مرض حب الطفاة؟

" قلبي يكمخ الشاي مثلك يا قوري " ، هذا مطلع أغنية تراثية من أغنيات الشعب العراقي ومعناه : قلبي ، من اشتعاله ، يسوي الشاي مثلك يا إبريق . وقبل أن أكتب "إبريق" كدت أقول " براد " ، فنحن في مصر نسميه " براد شاي " ، نعم : الناس " تسخن الشاي " ونحن " نبرده" ، وأنا أتمنى أن أقلح في تبريد ما يشتعل في قلبي من ألم وحسرة وغيظ بسبب هؤلاء الذين رأوا أنه من " الإنسانية " أن " يبقششوا " على السفاح من جيب الضحايا ، ومادام المثل القائل " كبّب ، سقي ، كل يا مدهى " لا يزال هو المرشد في لغط المتكلمين فلماذا لا تسود صبحات الصخب المنادية بضرورة عودة المستبد الجزار السفاح بدعوى أنه الدواء الناجع المحتل الأمريكي الأجنبي ، ولم شمل الأمة وانضباطها في زنزانة الخوف ؟

كأن المستبد الجزار السفاح قد غادرنا ، وكأنه ليس قرين المحتل الأجنبي ، وكأنه ليس الذي مهد له وأفسح له السبيل ليغرس نصله المسموم في الجسد المنهك .

لم يتحول الجلاد إلى ضحية كما تصور البعض ، كلا ، فالذي رصدته أن من سالت دموعهم لحظة القصاص كاتوا ينتحبون افتقاداً لـ " قسوة الجلاد " ، وإعجاباً بثبات الدجال الذي أخذته العزة بالإثم وتزين له ولهم سوء عمله فرآه ورأوه حسناً .

تأملوا معي المعاني التي تغنى بها كبار مطريينا ، وعلى رأسهم أم كلثوم وعبد الوهاب، تأملوا معي أغنية تدور مدلولاتها حول : "لي لذة في ذلتي وخضوعي / وأحب بين يديك سفك دموعي " ، وكانت من أشهر أغنيات أم كلثوم في مطلع القرن العشرين ، وتابعوا القائمة الطويلة والتراث المتراكم من أغنيات وأشعار الحب المتسول الخاتع الذي يرفع شعار غناه عبد الوهاب : "أحيه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه ... بيظلم في ويحبه وده قاسي على ويحبه ... آه ... آه ... أن أحبك أنا أحبه " . وحين يخطر ببال مشمئز من هذا الاسحاق أن يقول : " حبك برص " ، يطلع من يعود بعبد الوهاب يرد مؤكداً : " مولاي وروحي في يده / قد ضبعها سلمت يده ... " ، وتزاحمه من تقول : " يا لايمين في يده / قد ضبعها سلمت يده ... " ، وتزاحمه من تقول : " يا لايمين في الهوى حوشوا الملام عني " .

ولأن أم كلثوم هي قمة الغناء والطرب فقد يجوز لنا أن نحملها مستولية إشاعة مرض حب الطفاة ، فلقد أبدعت ، من بدايتها إلى نهابتها هي ومؤلفوها وملحنوها في تزكية نلك الاتجاه المؤدى إلى الابتلاء بحب الظالم ، المفترى ، الوغد ، الذي يمسح بالمغرمين البلاط ويعصرهم ويرميهم في الجردل ، ثم يسعف بهم السقف - بصفتهم رأس عبد -ويملأهم بالعناكب ومع ذلك يغنون خلفها بتناحة : " صعبان على أقول لك كان والحب زى ما كان وأكتر/ وأفكرك بليالي زمان وأوصف في جنتها وأصور ... أيام ما كنا احنا الاتنين : إنت ظالمني وأنا راااالضي "! وحين يحاول أحدهم أن يستعين بعيد الوهاب : " إوعى يا قلبي تكون حنيت للى شكيت منه وبكيت " ، تأتى أم كلثوم بالحجة : " ... إنت العذاب والضنى والعمر إيه غير دول ؟ " ، ويستسلم القطيع لمصاص الدماء النموذج في أغنية : " ياللي كان يشجيك أنيني كل ما اشكى لك أسايا " ، ومع هذه الاستكانة المروعة ، لهذا الذي يشجيه الأتين ، تصهلل أم كلتوم: "عزة جمالك فين من غير ثليل يهواك ... "، وخلفها جماهير السرادقات الذين وقعوا في يراثن حب القتلة والسفاحين يواصلون التلذذ بجعير غليظ تبثه القضائيات عن مهرجانات تأبين "الشهيد" صدام حسين: " كان منايا يطول حنيني للبكا وإنت معايا"!

علي حسن المجيد الملقب بعلي الكيماوي يتفوق على جانكيز

حين قال رئيس وزراء منغوليا ، منذ عامين بالتقريب ، أن جاتكيز خان لم يكن حقاً الرجل الشرير الذي هاجمته كتب التاريخ ، وأن منغوليا منذ استقلالها عام ١٩٩٠ ، بعد الهيار الاتحاد السوفيتي ، تفكر جدياً في إحياء ذكراه ، بصفته البطل المغوار الذي يستحق منها التكريم ، بعجب البعض من الخبر ومن المنطق ، غير أنني لم أجد فيه أي غرابة ، فإذا كان زماننا هو الزمن الذي يقول فيه علي حسن المجيد ، الملقب بعلي الكيماوي ، وهو ابن عم المقبور صدام حسين ، إنه هو الذي أعطى الأوامر بتدمير آلاف القرى الكردية وأنه يرفض الاعتذار ويقول : "أنا الذي أعطيت الأوامر ، تلجيش لتدمير القرى وتهجير الناس منها والجيش كان مسئولاً عن تنقيد تلك الأوامر ، أنا الذي أعطيت التعليمات له " ، ويصر الكيماوي أنه كان على حق عندما قام بذلك وأنه ليس مديناً بأي اعتذار ، وقد ورد هذا الكلم بجريدة الشرق الأوسط اللندنية ، الإثنين

٧٩ / ١ / ٢٠٠٧ ، ونكرت الجريدة أنه قال : " أنا لا أدافع عن نفسي وأنا لا أعتذر فأنا لم أرتكب أي خطأ " ، وأوردت الجريدة أن هناك وثائق تبين بأن عشرات القرى الكردية قد تم تدميرها كما تم تهجير آلاف العوائل الكردية ، وعزل الأولاد الذين لم يتجاوزوا التاسعة من العمر عن عوائلهم ، وقد كشفت إحدى الوثائق عن تذمير ٢١ قرية في النصف الأول من عام ١٩٨٧ بينما أثبتت وثيقة أخرى تدمير ٣٨ قرية في النصف الناتي من شهر يونيو من ذلك العام ، وجاء في وثيقة ثالثة عثر عليها في الأرشيف الصمكري موقعة من قبل لواء في الجيش : " لقد قمنا بتدمير كل القرى بالدبابات " .

إذا كان هذا هو حال زماتنا ، مع مبدأ بوش الذي أعلنه أخيراً لجنوده : " احتجز على كيفك واقتل فوراً " ، وبعد ما أوردته عن افتخار على الكيماوي بإبادته لقرى عراقية في المنطقة الكردية ، كيف يمكن بالله عليكم أن نفتح أعيننا وندين جنكيز خان !

صورة صدام

العراق الآن في مصائب، نعم، نعم، لكن من الذي أودى به إلى كل هذه الحمم والأعاصير وكسوف الشمس وخسوف القمر؟ رجاء لا تقلبوا صفحة صدام حسين، فهي ليست صفحة، إنها مجلدات لم يعف عليها الزمن ولن تمر أبدا مرور الكرام.

صدام لم يهدم لى بيتاً، ولم يقتل لى ابناً يافعاً ملت إلى عنقه أقبل مكان ذبحه، وهو فى درج من أدراج مشرحة، ولم أرغم على دفع ثمن رصاصة قتلت لى عزيزًا. ليس بينى وبينه ثأر شخصى. لكن بينى وبينه مكتبة تحوى كتباً امتلأت بصور ضحاياه من علماء المسلمين، باختلاف مذاهبهم، وحكماء الصابئة، وقساوسة الكنائس، ومن فئات الشعب: عرب وتركمان وأكراد وخلافه. بينى وبينه وجع القلب الذى صار مخزنًا لأهات مكتومة تكدست ولم تتمكن يوماً من باب خروج إلى فضائية إعلامية تقول لها: أوراق الشجر الزاهية تخفى قوهات الدمار والخراب الشجر الزاهية تخفى قوهات الدمار والخراب العظام وسحب الروح والعزة.

صدام حسین لیس تاریخا انتهی یا سادة، إنه والخبث الضارب اطنابه إلى مدى لا یمكن لاحد بتكهن بنهایته.



704

39

